

د. عبد الله شحاته

حقوق الزوجين

وصحايات
الرسول
صلى الله عليه وسلم



Bibliotheca Alexandrina



0112912

Handwritten signature or calligraphy.

رئيس مجلس الإدارة:

إبراهيم سعد

مطبوعات مايو

المدير العام :
علوى عامر

• دار مايو الوطنية للنشر •

١٦ شارع الفتحة - الزمالك - القاهرة

ت : ٣٤٠٩٩٠٠ / ٣٤٠٩٩٠٧ / ٣٤٠٩٩٠٩

ص. ب : ١٢٥ الجيزة Fax : 3409046

حقوق الزوجين

وصحابييات رسول الله
صلى الله عليه وسلم

د . عبد الله شحاتة

أستاذ الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الغلاف والاخراج الضنى :

مجدى حجازى

حقوق الزوجين

وصحابت رسول الله



الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ ، وعلي آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فقد تحدث القرآن الكريم عن النساء كما تحدث عن الرجال ، تحدث عن حواء وعن آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وعن بلقيس ملكة سبأ ، وعن أم موسى وعن هاجر أم اسماعيل ، وعن آسية أم اسحاق ، وعن نساء مؤمنات مجاهدات ، وعن نساء كافرات عاصيات .

ثم وضع الأساس العام ، في أن كل فرد رجلاً كان أو امرأة سيجازى على عمله قال تعالى :

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييئه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧)

وقال سبحانه :

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥)
وهذا كتاب من بابين ،

الباب الأول :

تحدث عن الزواج ونظام الأسرة ، وذكر الخطبة ، وأهم ما ينبغي أن يراعى فى اختيار الزوجة ، ثم تحدث عن حقوق الزوجة ، وما يتعلق بذلك من المهر والنفقة .

ثم تحدث عن حقوق الزوج على زوجته ، ومنها الطاعة والقرار فى المنزل ، والحقوق المشتركة بين الزوجين ، ومنها حسن العشرة ، والتعاون فى رعاية النسل والذرية ، وثواب العناية بتربية البنات .

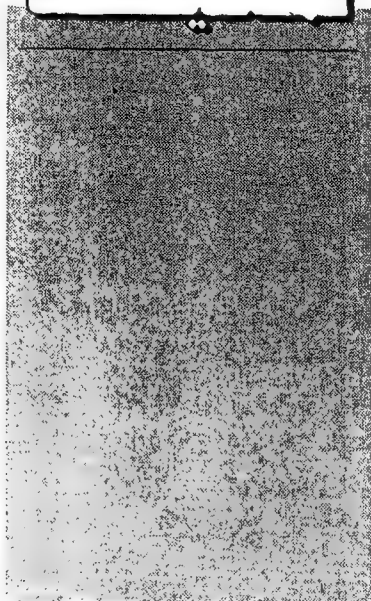
والباب الثانى :

تحدث عن صحابييات رسول الله ﷺ وترجم لاثنتين وثلاثين صحابية من الصحابييات ، وذكر سيرتهن وجهادهن وحياتهن فى المنزل ، وفى طلب العلم وفى الجهاد ومكارم الأخلاق ، فهن قدوة عملية ، وسيرة حسنة ، تكون الأسوة والقدوة ، والمثل الأعلى قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠) .
والله ولى التوفيق ..

د . عبد الله شحاتة

حقوق الزوجين

وصحابت رسول الله



المرأة قبل الإسلام وبعده

تباينت آراء المؤرخين حول العصور التي سبقت الإسلام ، فمنهم من يصورها عصور جهل وانحطاط وظلم ، ولذلك دعت بالجاهلية ، ومنهم من يطلق عليها هذا الاسم لجهل العرب بالإسلام .

وكذلك قضية المرأة ، ففريق يرفع منزلتها في نظر عرب الجاهلية ، والفريق الآخر ينكر ذلك ، ويظهرها في مظهر الممتن المسلوب الحقوق ، والحقيقة وسط بين الأمرين . فمن النساء من نالت منزلة سامية كخديجة بنت خويلد ، وهند بنت عتبة بن ربيعة ، التي اشترطت على أبيها ألا يزوجه رجلًا حتى يعرضه عليها ، وقد خطبها رجلان فاختارت منهما أبا سفيان بن حرب .

كما أنه وجد من احتقر المرأة ووصل به الأمر إلى وأدها ، ويمكننا القول بأن مركز المرأة قبل الإسلام كان ضعيفا من جهة ، وبارزا من جهة أخرى .

فالمعلقات التي تعد من روائع الشعر العربي ، لا تخلو من الإشادة بالمرأة والغزل بها ، والمدح والفخر لإرضائها . وتتميز المرأة الجاهلية في الجملة بخلال ثلاث : العفة ، والفصاحة ، وحسن التربية لبنيتها .

كراهية البنات

تفيد آيات القرآن ونصوص الأحاديث والأخبار وروايات الأدب العربي ، أن العربي قبل الإسلام كان صاحب المركز الممتاز في الأسرة والمجتمع ، فهو قوام الأسرة وربها ، والمسئول عن حياتها ورزقها ، وشئونها وسلامتها ، وهو الملوك بالحرب والمطالب بالثأر والمغرم ، وهو المخاطب في المسئوليات والتبعات الإجتماعية المتنوعة ، وكانت المرأة من حيث العموم تابعة للرجل ومنسوبة إليه ومسيرة بأمره ، وكان هو الذي يمثلها في مصالحها الخاصة .

وفي القرآن آيات عديدة ، تشير إلى ضعف مركز المرأة ، وكراهية العربي لميلادها ، ونستوضح ذلك من الآيات التالية :

١ - ﴿ وَإِذَا بَشَرٌ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩)

٢ - ﴿ وَإِذَا بَشَرٌ أَحَدَهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، أَوْ مِنْ يَنْشُوًّا فِي الْهِلَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ، وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف : ١٧ - ١٩) .

٣ - ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ (الصافات : ١٤٩ ، ١٥٠) .

٤ - ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ، تِلْكَ إِذْ نَاقَسَتِ الْقُسَيْمَ ضَيْرَىٰ ﴾ (النجم ٢١ ، ٢٢) ومعنى ضيرى ، جائرة ، وفي الصحاح (ضاز) في الحكم جار .

٥ - ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكويد ٨ ، ٩)

حق الميراث والتكسب

لم يكن حق المرأة فى الإرث معينا ثابتا ، سواء أكانت أما ، أم أختا أم زوجة أم بنتا ، ولا حقها فى الكسب والتصرف بما تملك مقرا ثابتا ، بل كان هذا وذاك متموجا حسب الظروف ، وكثيرا ما كانت تحرم منه .

وقد قرر الإسلام للمرأة حق التملك والإرث وسائر الحقوق المادية والمعنوية ، ورد إليها اعتبارها ، ونزلت سورة كاملة تسمى سورة النساء ، وتسمى أيضا سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى « سورة الطلاق » .

وتحتوى سورة النساء الكبرى على ١٧٦ آية فيها أحكام النساء وحقوقهن وواجباتهن وكثير مما يتعلق بهن ، وورد مثل ذلك فى سورة الأحزاب وسورة النور وسورة المجادلة ، وسورة البقرة ، وكثير من سور القرآن الكريم ، فضلا عن أنها تشارك الرجل فى جميع الأحكام والأوامر والنواهي والوصايا والآداب التى جاءت فى القرآن الكريم ، فالأصل فى كل خطاب خوطب به الإنسان أو الرجل أو المؤمنون أنه يتناول نظيرة من الإناث وهناك خصائص تميز بها الرجل ، وخصائص تميزت بها المرأة ، رعاها الإسلام ، ونص عليها القرآن ، ولكن الأساس الذى انبثقت منه الأحكام هو وحدة الأصل ووحدة التكليف ووحدة الجزاء . وفى أول سورة النساء يقول الحق سبحانه :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

مع الإسلام

كرّم القرآن إنسانية الإنسان ، حيث وضع أن الله خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وميزه بالعقل وبالفكر قال تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

وقد خلق الله حواء لتكون لأدم سكناً وأمناً ، ولتكمّل بهما أمور الحياة . وكما نجد الحاجة ضرورية إلى الليل والنهار ، والظلام والنور والأرض والسماء ، والطعام والماء . نجد أن الحياة لا تستغنى عن الذكر والأنثى . فكل منهما خصائصه ومقوماته وطبيعته التي خلقه الله عليها . قال تعالى : ﴿ والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلّى ، وما خلق الذكر والأنثى ، إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل : ١ - ٤) .

كانت المرأة قبل الإسلام مهينة في بعض المجتمعات ، متهمة بأنها رّجس من وسائل الشيطان ، وكان الفكر المسيحي يعتبرها رأس الشر والفساد والخطيئة ، استناداً إلى أن إبليس قد امتنع عليه آدم لما أراد اغواءه بالأكل من الشجرة ، فانصرف عنه إلى حواء ، فاستمعت له وللحيّة فأغواياها وحرّضها ، وامتثلت فأكلت من الشجرة التي حرّمها الله عليهما في الجنة ، ولم تزل بآدم تحرّضه وتغويه حتى أكل مثلاًها فنكشفت عورتها ، وارتكبا الخطيئة ، وحواء هي السبب . جاء في التوراة ، قال الله لأدم :

« هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت ،

فقال الرب الاله للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟ الخ « سفر التكوين ٣ : ١١ - ١٣ .

وعلى ذلك رأى كان لابد من تعميد الكنيسة للمواليد على أثر ميلادهم ، لا زالة أثر هذا الإثم المتوارث المهلك لأرواحهم ، والذى يحول بينهم وبين ملكوت الله ، يقول حبيب جرجس عميد الكلية الكليريكية بمصر سابقا: «والمعمودية ضرورية للخلاص وبدونها لا يخلص أحد ، لأن السيد المسيح قال : «من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدين » مرقس ١٦ : ١٦^(١) أما الفكر الإسلامى فإنه يعتبر آدم وحواء على قدم المساواة أمام مسئولية الأكل من الشجرة ، لظاهر قوله تعالى: ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الاعراف : ٢٢ - ٣٢) .

لقد كرم الإسلام المرأة وليدة وفتاة وزوجة وأما وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ، وذكر القرآن عددا من النساء كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية مثل حواء و أم موسى ، وأخته ، وزوجته ، وزوجة فرعون ، وبلقيس ملكة سبأ ، ومريم بنت عمران ، وزوجة عزيز مصر التى راودت يوسف عن نفسه . كما حفلت آيات القرآن بأجابه عن أسئلة النساء أو حل لمشاكلهن . فسورة المجادلة نزلت حلا لمشكلة امرأة ظاهر منها زوجها وقال لها أنت على كظهر أمى ، وبدئت بهذه

(١) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٦ .

الافتتاحية : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
وتشتكى إلى الله ، والله يسمع تحاوركما أن الله سميع
بصير ﴾

وقد نزلت من القرآن آيات في عدد من النساء ، كما نزلت
آيات في عدد من الرجال . وصدق الله العظيم ﴿ من عمل
صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة
ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧)

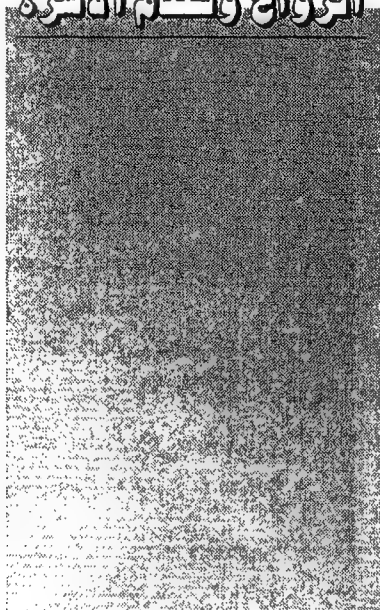
حقوق الزوجين

وصحابت رسول الله

الباب

الأول

الزواج ونظام الأسرة



الزواج ونظام الأسرة

الزواج هو الطريق السليم لبناء الأسرة ،
وإشباع العاطفة ، ورعاية النشء ، وتعاون
الزوج والزوجة ، وإشباع المطالب النفسية
والبيولوجية والمادية والمعنوية للزوج والزوجة .

وقد حث الإسلام على الزواج لأنه صمام الأمان ، وباب من
أبواب العصمة من الرذيلة ، والبعد عن الفحشاء والمنكر . قال
تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَأَمْثَلِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴾ (سورة النور : ٣٢)

والأَيَامَى جميع أيم وهو كل رجل لا زوجة له وكل امرأة
لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا . جاء في ظلال القرآن :
« ونحن نرى أن الأمر هنا للوجوب ، لا بمعنى أن يجبر
الأمم الأيَامَى على الزواج ، ولكن بمعنى أنه يتعين إعانة
الراغبين منهم فى الزواج ، وتمكينهم من الاحصان ، بوصفه
وسيلة من وسائل الوقاية العملية ، وتطهير المجتمع الإسلامى
من الفاحشة ، وهو واجب ووسيلة الواجب واجب » (١)
وقد امتن الله على عباده بنعمة الألفة والمودة بين الزوجين ،

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد ٤ ص ٢٥١٥

حتى يتحملاً شظف العيش ، وآلام الحياة وآمالها ، فى سعادة وتعاون ، قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (سورة الروم : ٢١)
وقال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (سورك النحل ٧٢)
الزواج فى السنة :

حث الرسول ﷺ أصحابه على الزواج وجعل الزواج عبادة مثل الصلاة والصيام والصدقة ، لأن فيه اعفاف زوجة ، وتكوين أسرة ، ورعاية ذرية ، وتسابق الأسر إلى تربية أبنائها وبناتها ، وتوريثهم المعارف والآداب . والميراث المادى والمعنوى .

١ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة^(١) فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء^(٢) » .

٢ - وروى البخارى ومسلم والترمذى عن أنس قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا قالوا : وأين نحن من النبى ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم أما أنا فانى أصلى

(١) اختلف العلماء فى المراد بالباءة ، فقليل المراد بها الجماع ، وتقدير الكلام ، من استطاع منك الجماع لقدرته على تكاليف الزواج فليتزوج . وقال آخرون ، أوجه تفسيرات الباءة : القدرة على تكاليف الزواج .
(٢) قاطع لثوران الشهوة .

الليل أبدا . وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله اليهم فقال أنتم الذين قلت كذا وكذا ، أما والله إننى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى .

٣ - وروى الترمذى والنسائى والحاكم عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة حق على الله عونهم ، المكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف ، والمجاهد فى سبيل الله » .

صفة الزواج الشرعية :

إذا كان المرء قادرا على مطالب الزواج المالية بثروة فى يده أو عمل يقدر عليه ، معتدل الطبيعة البشرية ، واثقا من اقامة العدل مع الزوجة ، كان الزواج سنة مؤكدة ، يثاب عليه متى نوى به تحصين النفس وتحصيل الولد والالتزام بحدود الله .

الزواج أم التفرغ للعبادة :

أيهما أحب إلى الله عند التعارض ؟ الزواج أم التفرغ للعبادة؟ نقل عن الشافعى رحمه الله أن التفرغ للعبادة أحب ، ونقل عن غيره أن الزواج أفضل .

قال صاحب الفتح « ج ٢ ص ٣٤٣ » : « ومن تأمل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق ، وتوسعة الباطن بالتحمل فى معاشرة أبناء النوع ، وتربية الولد ، والقيام بمصالح المسلم العاجز عن القيام بها ، والنفقة على الأقارب والمستضعفين واعفاف الحرم ونفسه ودفع الفتنة عنه وعنهن ودفع التقدير عنهن . لحبسهن لكفايتهن مؤنة سبب الخروج ، ثم الاشتغال بتأديب نفسه ، وتأهيلها للعبودية ولتكون هى أيضا سببا

لتأهيل وغيرها وأمرها بالصلاة فإن هذه الفرائض كثيرة - لم يكد يقف عن الجزم بأن الزواج أفضل من التخلي للعبادة .
هذه صفة الزواج في حالة الاعتدال . فإذا كان المرء قادراً على مطالب الزواج المالية ، واثقاً من إقامة العدل في معاملة الزوجة ، ولكنه يخشى الوقوع في الزنا لو لم يتزوج ، كان الزواج واجباً ، فإن تحقق الوقوع في الزنا لو لم يتزوج كان الزواج فرضاً .

اختيار الزوجة :

الزوجة شريكة الحياة ، ورفيقة العمر ، ورئيسة البيت وعماد نظامه ومبعث سعادته ، فإذا كانت صالحة أقامته على نظام وطيد ، وبثت فيه روح الخير وملأته بأسباب السعادة وعنيت بتربية أولادها ، فبثت فيهم كل خلق حميد ، وعودتهم كل عادة حسنة ، وجنبتهم سئ الأخلاق وقبيح العادات ، وإذا كانت فاسدة بذرت في البيت بذور الفساد ، وزودت ابنائها للحياة بأسوأ زاد ، فكان لزاماً أن يعنى الزوج باختيار زوجته . قال ﷺ « تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء » (١) . وامتن أبو الأسود الدؤلى على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق ، إذ قال لهم ، لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا ، قالوا : كيف أحسنت الينا قبل أن نولد ؟ قال اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها ، وأنشد الرياشي في هذا المعنى :
وأول إحسانى إليكم تخيري لماجدة الأعراق باد عافها
ومن أهم ما ينبغى أن يراعى فى الزوجة ما يأتى :

١ - أن تكون من الصالحات ذوات الدين والخلق ، لتكون

(١) فتح البارى .

أمانة عفيفة حسنة العشرة ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تتكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين والخلق تربت يدك »^(١).

٢ - والمراد بذات الدين صاحبة السلوك الحسن والأخلاق الكريمة والخلال الطيبة التى تحافظ على نفسها وببيتها وأسررتها وتتمتع بالمثل العليا والعفة والمروءة ومكارم الأخلاق . فالدين جماع المكارم وأساس الفضائل .

قال بعض العرب ، لا تتكحوا من النساء سته : لا انانة ولا منانة ، ولا حنانة ، ولا تتكحوا حداقة ولا براءة ولا شداقة .

أما الأنانة : فى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح الممرضة أو نكاح المتماضة لا خير فيه . والمنانة التى تمن على زوجها ، فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحنانة التى تحن إلى زوج آخر ، أو ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه .

والحداقة التى ترمى إلى كل شئ بحداقتها ، فتشتيه وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة التى تضع النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع .

والشداقة ، المتشدة الكثيرة الكلام ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدين »^(٢) .

(١) متفق عليه ، وأورده الغزالي فى الإحياء فى كتاب آداب النكاح (ص ٧١٨) .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وانظر الإحياء للغزالي .

٣ - ينبغي اختيار الزوجة من أصل طيب ومعدن كريم وأسرة معروفة بحسن السمعة والأخلاق الفاضلة . روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » .
وليس المراد بالأسرة الكريمة : الثراء والغنى والوجاهة ، إنما المراد حسن السيرة والتمسك بالفضائل والبعد عن الشبهات والمحرمات .

قال ﷺ : « تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس »^(١) . وعن أنس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فيتزوج الحرائر »^(٢) وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « خير نساء ركب الأبل صالح نساء قريش ، أحناه^(٣) على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده »^(٤) .

وروى أن أكنم بن صيفى قال لأولاده : يا بنى ، لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف .

٤ - ينبغي أن تكون الزوجة على قدر من الجمال وحسن الوجه لتحصل بها العفة ، ويتم الإحصان وتسعد النفس ، وقد كره الفقهاء ذات الجمال الباهر لأنها تزهى بجمالها ، ومن فضل الله أن الجمال أمر نسبى ، وأن الملاحة والمحبة تختلف

(١) أصول التشريع الإسلامى للاستاذ على حسب الله ص ٨ نقلاً عن الإحياء للغزالي ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥ .

(٣) كثيرة الحنو على الأطفال .

(٤) ذات يده : ماله (فتح البارى ١/٩٩) .

باختلاف الأفراد ، حتى يقترن كل زوج بما يناسبه .
وقد ورد فى النصوص الحث على تزوج ذات الدين ، وألا
يكون تزوج المرأة لجمالها وحده ، مع فساد دينها .
قال أبو حامد الغزالي فى الإحياء :

« فأمّا من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير
المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب . وقد كان
مالك بن دينار يقول : يترك أحدكم أن يتزوج بتيمة فيؤجر
فيها ، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ،
ويتزوج بنت فلان وفلان من أبناء الدنيا فتشتهى عليه
الشهوات ، وتقول اكسنى كذا وكذا ، واختار أحمد بن حنبل
عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل من أعقلهما عليه السلام
ف قيل العوراء ، فقال زوجونى إياها ، فهذا دأب من لم يقصد
التمتع . فأمّا من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع
فليطلب الجمال ، فالتلذذ بالمباح حصن للدين .

وقد قيل : إذا كانت المرأة حسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء
الحدقة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، محبة لزوجها ،
قاصرة الطرف عليه ، فهى على صورة الحور العين ، فإن الله
تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة فى قوله ﴿ففيهن
خيرات حسان﴾ (الرحمن : ٧٠) ، أراد بالخيرات حسنات
الأخلاق . وفى قوله : ﴿قاصرات الطرف﴾ (الرحمن : ٥٦) ،
وفى قوله ﴿عرباً أتراباً﴾ العروب هى العاشقة المشتبهة
للوقاع ، وبه تتم اللذة ، والحور البياض ، والحوراء شديدة
بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر ، والعيناء
الواسعة العين .

وروى النسائي وأحمد وأبو داود بسند صحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « خير نسائكُم ، من إذا نظر إليها زوجها سرتة ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

٥ - ومن يمن المرأة خفة مهرها ، وتسهيل أمرها وقلة صداقها ، وقد ورد النهى عن المغالاة في المهور . وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة في الصداق . ويقول ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمئة درهم ، وقد جرى العرف في هذا الزمن أن يتعاون الزوج والزوجة في تأثيث المنزل ، وشراء لوازم الزوجية ، وهو أمر حسن يسوغه ارتفاع أثمان جهاز العروس . فينبغي أن يساهم كل طرف بما يتيسر عليه ، وأن يتعاون العروسان كل بحسب قدرته ويساره ، وبدون طمع أو جشع أو أنانية أو هروب من المسئولية .

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي وداعة على درهمين ، ثم حملها هو إليه ليلا ، فأدخلها سعيد من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها .

وروى أحمد والبيهقي بسند جيد من حديث عائشة رضي الله عنها : « من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها ، وأن يتيسر صداقها ، وأن يتيسر رحمها » يعني الولادة .

٦ - ينبغي أن تكون الزوجة بكرة ، لتكون المحبة بين الزوجين أقوى والصلة أوثق والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف ، وأما التي اختبرت الرجال ، وما رست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته ، فتقل الزوج .

ومن يمن البكر أنها لا تحن إلى الزوج السابق ، وأكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً ، قال الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل فى الأرض يعشقه الفتى

وحينئذ أبدا لأول منزل

٧ - ينبغي ألا تكون الزوجة من القرابة القريبة ، لأن ذلك يقلل الرغبة فى الطرف الآخر ، « فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس ، وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به ولا تنبعث به الشهوة » (١) .

وقد كانوا يستحبون تزوج البعيدات ويرون ذلك أنجب للولد ، وأقوى للبدن ، وأبهى للخلقة ، فعن عمر بن الخطاب أنه قال لبنى السائب ، قد ضويتم (٢) فانكحوا فى الغرائب ، وعن الأصمعى بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية (٣) .

(١) الإحياء للغزالي ص ٧٢٥ .

(٢) مهزلم وضعفتم .

(٣) عيون المسائل الشرعية للأستاذ على حسب الله ، ص ٩ .

حقوق الزوجين

حقوق الزوجة

١- المهر

٢- النفقة

يترتب على الزواج الصحيح . حقوق للزوجة ، وحقوق للزوج ، وحقوق مشتركة بينهما .

فحقوق الزوجة : المهر ، والنفقة .

وحقوق الزوج ، الطاعة ، والقرار في البيت ، وولاية التأديب.

والحقوق المشتركة بينهما وهي :

(أ) حق استمتاع كل منهما بالآخر .

(ب) حسن العشرة .

وسوف نتناول هذه الأمور بشيء من التفصيل إن شاء الله .

١- المهر

تعريف المهر :

يقال لغة (مهرت المرأة) أى أعطيتها المهر ، وللمهر أسماء منها : الصداق والصدقة ، والنحلة ، والأجر ، والفريضة ، والعقر .

والمهر شرعاً ما أوجبه الشارع من المال بالزواج حقاً للمرأة على الرجل في مقابل ملك استمتعته بها . ويذكر بعض الفقهاء أن المهر وجب على الرجل في مقابل الانتفاع بالبضع وذلك لإظهار شرف المحل وخطره . وعلماء التفسير يرون أن المهر ليس ثمناً للبضع ولا شراء له ، لأن الانتفاع متبادل بين المرأة والرجل ، ولأن الزواج يحل لكل منهما الاستمتاع بالآخر . ولكن الله أوجب الصداق على الرجل ليكون دليل صدقه وقدرته على رعاية المرأة والانتفاع عليها .

قال الشيخ حسن خالد :

(لقد شرع الله المهر على أنه عطاء مقرر من الرجل للمرأة ، وهدية لازمه ، وليس بدلاً كالثمن للسلعة ، والأجر للمنفعة ، قال تعالى : ﴿ وَأَتَوَاتَى النِّسَاءَ صَدَقَاتُهُنَّ نَحْلَةً ﴾ أى هدية وعطاء ، والمهر هدية لازمة على التراخي وليس على الفور ، وهو على الرجل دون المرأة ، لأن الوضع الطبيعي لكل منهما ، أن الرجل هو الذى يكسب فكان طبيعياً أن تكون التكاليف المالية عليه ، ومن ضمنها هدايا الزواج ، وهو يقدم هذا العطاء فى مطلع الحياة الزوجية لامرأته وشريكة حياته ، ليكون تعبيراً مادياً عن مودته وإخلاصه وبره ، فضلاً عن أن الزواج يكلف المرأة كثيراً من الأموال ، فكان لزاماً على الرجل أن يقدم لها ما يعينها فى ذلك ، فأوجب الله المهر على الرجل^(١) .

والمهر أثر من آثار العقد ، وليس ركناً من أركانه ، ولا شرطاً من شروطه ، ولا ضرر فى السكوت عنه ، عند العقد لسهولة الإحتكام حينئذ إلى مهر المثل .

(١) أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية ، تأليف الشيخ حسن خالد والدكتور عدنان نجا ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٩١ .

مهر المثل :

هو مهر امرأة من قوم أبى الزوجة ، كاختها وعمتها نمائلها فيما يعتد به من صفات الزوجة : من السن ، والجمال ، والمال ، والدين ، والأدب ، والعقل والعلم ، والبركة أو الثوبة وما إلى ذلك ، ويراعى مع هذا حال الزوج ، فإن ذا الفضل يرغب فيه ، فيتسامح معه فى المهر .

نيل الأوطار :

جاء فى كتاب نيل الأوطار للشوكانى ، الجزء السادس صفحة ١٧٢ ما يأتى :

« روى فى الأثر أن سائلاً سأل عبدالله بن مسعود ، عن امرأة توفى عنها زوجها ولم يكن قد فرض لها شيئاً ، فجعل يرده شهراً : ثم قال له : « أقول فيه برأى ، فإن يك صواباً فمن الله ورسوله وإن يكن خطأ فمن ابن أم عبد ، أرى لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط » ، فقام رجلان وقالوا نشهد أن رسول الله ﷺ قضى فى امرأة يقال لها يروع بنت واثق بمثل قضيتك هذه ، فسر ابن مسعود رضى الله عنه سروراً لم يسر قط مثله بعد اسلامه ، لأن قضاءه قد وافق قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية أنه لم يكن قد دخل بها وأن عبدالله ابن مسعود قد حكم لها زيادة على مهر مثلها بالإرث وأوجب عليها العدة .

وجوب المهر :

والمهر واجب على الرجل لزوجته بمجرد العقد الصحيح ، دخل بها أم لا ، واختلى بها خلوة صحيحة أو لم يختل ، وسواء سمي لها مهراً أو لم يسم ، قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء

صدقاتهن نحلة ﴿ (سورة النساء : ٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا
بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهن
فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من
بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ (سورة النساء : ٢٤)
مقدار المهر :

تحديد أقل المهر مختلف فيه بين العلماء ، فعن سعيد بن
جبير أقله خمسون درهماً ، وقيل أقله أربعون درهماً ، وعن
مالك أقله ربع - دينار ، وعن أبي حنيفة وأصحابه أقله عشرة
دراهم .

وذهب سفيان الثوري وإسحاق وأحمد والشافعي إلى أن
أقله كل ما يصلح ثمنًا أو أجرًا، ولا حد لأقل المهر عندهم
وروح الشريعة تؤيدهم فقد أمر القرآن بتيسير الزواج
ومساعدة المحتاجين على إتمامه قال تعالى : ﴿ أنكحوا الأيامي
منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم أن يكونوا فقراء يغنيهم
الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور : ٣٢)

وروى البخاري عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى النبي
ﷺ فقالت يا رسول الله إنني قد وهبت نفسي لك فقامت قياماً
طويلاً، فقال رجل يا رسول الله، زوجنيها إن لم يكن لك بها
حاجة ، فقال ﷺ ، (هل عندك من شيء تصدقها إياه؟) فقال :
ما عندي إلا إزارى هذا . فقال ﷺ (إن أعطيتها إزارك جلست
لا إزار لك فالتمس شيئاً) فقال : ما أجد شيئاً : فقال ﷺ
(التمس ولو خاتماً من حديد) فالتمس فلم يجد شيئاً . قال ﷺ :
(هل معك من القرآن شيء؟) قال : نعم سورة كذا وسورة كذا ،

وسمى سورا . فقال ﷺ : (مَلَكْتُهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) وفى بعض طرق الحديث الصحيحة (زوجتكها) وفى بعضها : (فعلما القرآن).

وروى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنه فى الأرض وفساد كبير).

أكثر المهر :

وأكثر المهر لا حد له باتفاق الفقهاء ، فليس للمهر حد أعلى عند الجميع ، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى بعض الناس يغالون فى مهور بناتهم فأراد منعهم من ذلك فنهى أن يزداد فى المهر على أربعمئة درهم ، وخطب فى الناس قائلاً : (لا تغالوا فى صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشرة أوقية (أى من الفضة) . فمن زاد فى المهر على أربعين أوقية (أربعمئة درهم) شيئاً جعلت الزيادة فى بيت المال) .

ثم نزل عمر من على المنبر فقالت امرأة من قریش ليس ذلك إليك يا عمر ، فقال : ولم ؟ قالت لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ، أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا مُّثَمِّنًا وَثِمًا مِّبِينًا ، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (سورة النساء : ٢٠ ، ٢١) .

فقال عمر : اللهم عفواً ، كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع إلى المنبر وقال : (انى كنت نهيتكم أن تزيدوا فى صدقات النساء على أربعمئة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب).

وروح الشريعة تميل إلى تيسير المهور وعدم المغالاة فيها حتى لا يسد باب الزواج على الراغبين فيه.

وقد حث النبي ﷺ على عدم المغالاة في المهور وفي الحديث الشريف (إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة) . وفي الحديث أيضا : (إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها) .

قال الأستاذ على حسب الله : وإنما اعترف عمر رضى الله عنه بالخطأ حتى قيل أن امرأة خاصمت عمر فخصمته أى انتصرت عليه ، لأنه أراد أن يلزم الناس بالوقوف عند حد محدود في المهر ، ولو أنه أراد أن يرشدهم إلى ما هو أحب من غير الزام ما رجع عن قوله ، ولا خصمته المرأة ، فما كان لعمر أن يرجع عن قول يوافق مادعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم^(١).

تعجيل المهر وتأجيله :

المهر من الحقوق المالية : يصح تعجيله كله وتأجيله كله ، وتعجيل بعضه ، وتأجيل بعضه الآخر ، إلى أجل قريب أو بعيد ، ويصح جعله أقساط متساوية أو متفاوتة : تؤدي في مواعيد معينة .

فإذا كان هناك اتفاق على شئ من ذلك عمل به ، وإلا اتبع في كل بلد ما جرى به العرف فيه ، فالمعروف عرفا كالمشروط شرطا.

وجاء في كتاب احكام الأحوال الشخصية في الشريعة

(١) عيون المسائل الشرعية في الأحوال الشخصية للأستاذ على حسب الله . الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ م ص ٨٩.

الاسلامية ، الجزء الأول ، للاستاذ أحمد إبراهيم إبراهيم
المؤلف سنة ١٩٢٥م.

«الفقرة ١٦٧ - ويصح أن يتفق الزوجان على تعجيل المهر
كله أو تأجيله كله إلى أجل قريب أو بعيد ، وتعجيل بعضه
وتأجيل بعضه الآخر على حسب العرف، وذلك يختلف
باختلاف البلاد، وقد حكى صاحب الفتح أن أهالى خوارزم
يؤجلون كل المهر ، والمتعارف عندنا فى القاهرة تعجيل
الثلثين وتأخير الثلث إلى الوفاة أو الطلاق ، وقد يجعل النصف
ويؤجل النصف فى بعض البلاد الأخرى كذلك ، وقد يقسط
المهر على أقساط تؤدى فى مواعيد معينة بحسب الاتفاق،
وبالجملة إن كان شرطاً فى ذلك اتبع الشرط وإلا اتبع العرف ،
ومن المقرر أن المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً .

٢- النفقة

النفقة هى الحق الثانى من حقوق الزوجة المترتبة على
العقد الصحيح .

والنفقة فى اللغة الاخراج ، يقال نفقت الدابة إذا خرجت من
ملك صاحبها بالبيع ، والمصدر النفوق كالدخول ، بمعنى
الهلاك أو الرواح أو الخروج ، والذهاب ، والنفقة اسم مصدر ،
وفى اصطلاح الفقهاء: هى اسم للشئ الذى ينفقه الانسان على
عياله وزوجته وأقاربه ومملوكه ، ويشمل الطعام والكسوة
والسكن ، وهى حق واجب للزوجة على الزوج لقوله سبحانه :
﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن
لتضييقوا عليهن ، وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى

يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن، واتمروا بينكم بمعروف، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى، لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴿ (سورة الطلاق: ٦، ٧) . وقال عز شأنه: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٣).

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف).

وروى البخاري ومسلم: «أن هنداً بنت عتبة زوج أبى سفيان قالت: يارسول الله إن أبى سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفى بى، إلا ما آخذ من ماله بغير علم، فقال ﷺ: خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنية»^(١).

وروى أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما حق المرأة على زوجها، فقال له ﷺ: يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا كسي، ولا يهجرها في المبيت، ولا يضربها ولا يقبّح».

حكمة وجوب النفقة على الزوج:

يقتضى عقد الزواج أن تكون الزوجة محبوسة لحق الزوج، ومحرمة على غيره، لتقوم بالمقصود من الحياة الزوجية، من حفظ النسل وتربية الولد ورعاية شئون البيت.

(١) فتح القدير ٣/٣٢١.

«والمتفق عليه أن من حبس لحق غيره فنفقته واجبة عليه، فالقاضي والعامل والموظف وكل عامل في الدولة وغيرها نفقاتهم واجبة على من حبسوا لهم، ولما كانت الزوجة قد حبست نفسها للاشراف على البيت والقيام بأعبائه ، فقد وجبت لها النفقة على الزوج جزاء هذا الاحتباس»^(١) ، فقيرة كانت أم غنية ، مسلمة أم كتابية . ويجب على الزوج وقد أعده الله لحماية الأسرة ورعايتها وحمل أعبائها أن يكفيها مئونة السعي لكسب قوتها لتتفرغ لأداء واجبها على الوجه الأكمل.

عمل الزوجة :

الأصل في الحياة أن يكح الرجل ، وأن يتحمل نفقة الأسرة ورعايتها ، كما أن المرأة انسان رقيق العاطفة ، قادر على العطف والحنان ورعاية الذرية وإدارة شئون البيت ، هذا هو الأعم الأغلب ، وهو ما تقتضيه الفطرة. وفي تقديرى أن الدعوة الإسلامية في بداية انتشارها، صاحبها نهضة تعليمية وتثقيفية للرجال والنساء، وفي الحديث الشريف، أن النساء قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبك علينا الرجال فاجعل لنا يوما ولهم يوما، فجعل للنساء يوما معلوما يذهب فيه اليهن ليعظهن ويعلمهن.

وعرفنا عددا وفيرا من راويات الحديث ، والعارفات بشئون الدين والأدب وغير ذلك من المعارف.

وظل تعليم الرجال والنساء في تقدم وازدهار. فكانت المدارس والمجالس للتعليم والتعليم، ثم مرت بالمسلمين

(١) فتح البدير ٣/٣٢١.

قرون سوداء ساد فيها الجهل والظلام، وسادت دعوة إلى عدم تعليم المرأة.

وفى العصر الحديث انتشر التعليم بين البنين والبنات، وحصلت الإناث على أرقى مراحل التعليم، وشغلت المرأة العديد من الوظائف.

وترتب على عمل المرأة هذا التساؤل :

إذا كانت نفقة المرأة على الرجل ، فكيف نعمل إذا كانت المرأة تعمل وتتقاضى راتباً من عملها ، أو ربها من تجارتها؟ وأرى أن الحياة الزوجية تقوم على التعاون والتكافل ، وأن يد الله على الشريكين مالم يخونا، فإذا خاننا رفعت البركة عنهما. فالزواج شركة يتعاون فيها الزوجان، ويقدم كل واحد منهما للأسرة ثمرة جهده وصافى مرتبه، وحصيلة سعيه. ولا مانع أن تحتفظ المرأة لنفسها بجزء من مرتبها ، وأن تقدم جزءاً منه للمنزل جزاء السماح لها بالعمل وترك المنزل. وقد جرى العرف على هذا التعاون بين الزوجين فى مواجهة أعباء الحياة.

جاء فى كتاب «عيون المسائل الشرعية» للأستاذ على حسب الله، نقلاً عن ابن عابدين ٢/٦٦٥ ما يأتى:

«وإذا كان للزوجة حرفة تزاولها خارج البيت نهاراً وتبيت عند الزوج ليلاً، كان له أن يمنعها من الخروج لمزاولة هذه الحرفة، فإذا لم تطعه سقطت نفقتها ، وليس له أن يمنعها من أن تزاول فى البيت عملاً لا ينافى قيامها بحقوق الزوجية».

تقدير النفقة :

يراعى فى النفقة حال الزوج يساراً أو اعساراً ؛ فقد أمر الله

ذا السعة من الأزواج بأن يتفق من سعته، ولا يضيق على
زوجيه، وأمر من قدر عليه رزقه أن يتفق مما آتاه الله، قال
تعالى: ﴿لِيَتَّفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيَتَّفِقْ
مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ، لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾
(سورة الطلاق : ٧)

غلاء الأسعار :

كما يراعى فى فرض النفقة حال الزوج، يراعى ارتفاع
الأسعار وانخفاضها فى الأسواق، وإذا قدرت النفقة باعتبار
حال الزوج، وأسعار الحاجات فى زمن ما، فحسنت حاله أو
ارتفعت الأسعار كان للزوجة أن تطالب بزيادة ما قدر لها ،
وإذا ساءت حاله أو خفضت الأسعار كان للزوج أن يطالب
بخفضه.

حقوق الزوج

١- الطاعة

٢- القرار في البيت

٣- ولاية التأديب

للزوج على زوجته حقوق ثلاثة هي : الطاعة ، والقرار في البيت ، وولاية التأديب :

١ - الطاعة :

الزواج رباط مقدس حث عليه القرآن ، وأمرت به السنة . ومن هدى الإسلام أن تقوم هذه الرابطة بين الزوجين على المودة والرحمة والاحسان .

ومن حق الزوج على امرأته أن تطيعه فيما يتعلق بأمور الزوجية ، ومجال الناحية الخلقية هنا أوسع من مجال الناحية القانونية ، ولهذا كثرت الأحاديث التي تحث المرأة على طاعة زوجها . وسنذكر طائفة منها ، منقولة من كتاب إحياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقي . ومن كتب الصحاح والسنة :

١ - روى ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صلت المرأة خمسا ، وصامت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » .

٢ - روى البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

قال : « اطلعت فى النار فإذا اكثر أهلها النساء » ، فقلن لم يا رسول الله ؟ قال « يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعنى الزوج المعاشر .

وقد ذكر الأستاذ محمد عزة دروزه فى كتاب « المرأة فى القرآن والسنة » أن هذا الحديث وأمثاله يخص طائفة من النساء تجحدن حق الزوج ، ولا تقوم بطاعته ، تحرص على الشجار والنزاع ، ولا تجنح إلى الطاعة ولين الجانب . والحديث وارد فى مقام الوعيد والتهديد لمن تتكبر على زوجها وتكثر الشجار والنزاع ، ولا تتحلّى بالوداعة والطاعة .

٣ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عن رعيته ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

٤ - روى الحاكم وصححه اسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ، انى فتاة أخطب فأكره التزويج ، فما حق الزوج على المرأة ؟ قال : « لو كان من فرقة إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره » قالت أفلا أتزوج ؟ قال : « بلى تزوجى فانه خير » .

وهذا الحديث كما ترى يصور حق الزوج فى طاعة زوجته ، وواجب الزوجة نحو زوجها من طاعة وعرفان بالجميل ، وبذلك تستقيم الحياة ، وتستقر الأسرة وتسعد الأجيال ، بالعطاء والايثار والتعاون ، وطاعة الزوجة لزوجها ، وعطف

الزوج ورعايته لزوجته .

٥ - روى الترمذى وأبو داود وابن حبان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

٦ - جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يا نبى الله إنى رسول النساء إليك ، وما منهن امرأة - علمت أو لم تعلم - إلا وهى تهوى مخرجى إليك ، الله رب الرجال والنساء والاهم ، وأنت رسول الله الى الرجال والنساء ، كتب الله الجهاد على الرجال ، فإن أصابوا أثروا وأن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ فقال ﷺ : « طاعة أزواجهن ، والمعرفة بحقوقهن ، وقليل منكن من تفعله » . وفى هذا يقول على كرم الله وجهه : « جهاد المرأة حسن التبعل » .

أى أن جهاد المرأة فى قيامها بحق زوجها ، ومحاولة القيام بمهمة الزوجة على أحسن وجه ، واثقة أن زوجها بشر فيه ضعف الانسان فلتقبله على علاته ، ولتصبر على بعض هفواته ، فإن قيام المرأة بحق بعلاها ، وطلبها لمرضاته ، وحرصها على فعل ما يرضيه ، يعدل الجهاد فى سبيل الله .

٧ - روى الترمذى وقال حسن غريب ، وابن ماجه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

وآيات القرآن الكريم توضح أن للرجال حق القوامة ورئاسة الأسرة لما حباه الله به من قوة وقدرة ، واختلاط بالحياة والأحياء ، وقدرة على التكسب والانفاق ، وقد تميزت المرأة

بالعاطفة والحنان لرعاية البيت والأسرة . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ (النساء : ٣٤) .
جاء فى تفسير المنار^(١) ، ما يأتى :

« أى أن من شأن الرجال القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ، ومن لوازم ذلك : أن يفرض عليهن الجهاد دونهم ، فإنه يتضمن الحماية لهن ، وأن يكون حظ الرجال من الميراث أكثر من حظ النساء ، لأن عليهن من النفقة مالىس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء فى أصل الخلقة ، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت فى التكليف والأحكام ، أثر التفاوت فى الفطرة والاستعداد ، وثم سبب كسبى آخر يدعم السبب الفطرى ، وهو ما يتفق الرجال على النساء من أموالهم » .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : « المراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته ، وليس معناها أن يكون المرءوس مقهوراً مسلوب الإرادة لا يعمل عملاً إلا ما يوجهه إليه رئيسه ، فإن كون الشخص قيماً على آخر ، هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه »^(٢) .

(١) تفسير المنار ، الجزء الخامس . ونداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، ص

٣٠ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ .

(٢) نداء للجنس اللطيف ، تأليف رشيد رضا ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ ص ٣٠ ،

درجة الرجال :

قال تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (البقرة : ٢٢٨) . لقد شاعت حكمة الله أن تقوم الحياة بين الزوجين على أساس من المودة والرحمة وقد بين القرآن أن لكل واحد من الطرفين حقوقا وعليه واجبات ، وتعنى هذه الآية فيما تعنيه أن كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته ، من أمور مشروعة من طاعة وأمانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومعاملة ومودة وإحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ، ومراعاة مزاج ورعاية مصلحة وقضاء حاجات ، يحق للزوجة طلبه وانتظاره من زوجها ، ومن جملة ذلك اعتبار كل من الزوجين نفسه شريكا للآخر فى مختلف نواحي الحياة ، ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الأساس وكلمة « بالمعروف » فى مقامها بليغة العدى ، لأن هذه الكلمة عامة تعنى ما هو متعارف عليه أنه حق ، وهذا لا يقاس بزمن بعينه ، فيما ليس فيه تحديد فى كتاب وسنة ، بل يظل يتبدل ويتطور حسب تبدل ظروف الحياة الإجتماعية وتطورها ، والضابط العام فيه هو أن لا يحل حراما ولا يحرم حلالا .

روى مسلم وأبو داود عن معاوية القشيري قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال : « تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا كسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت » .

والحديث ليس بسبيل بيان كل حقوق الزوجة على زوجها ، وأن جملة ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ واسعة المدى فى إرشاد كل طرف أن يقوم بواجبه حيال الطرف الآخر .

« وللرجال عليهن درجة » .

قال بعضهم إن هذه الدرجة تتمثل فى كون الرجل هو الذى يملك حق الطلاق دون الزوجة ، ويملك حق التزوج بأكثر من زوجة . وقال بعضهم : إن كون الرجل هو المسئول عن الانفاق على الأسرة ، والأقوى على رعايتها قد جعل له شيئاً من الهيمنة عليها وهو ما عنته جملة « وللرجال عليهن درجة » . وقال بعضهم : إن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ، وأنه لابد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الأمور ، ولا تقوم مصالحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إليه فى الخلاف ، لئلا يعمل كل فرد ضد الآخر فتتفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، وجعلت الرئاسة للرجل وعبر عنها بجملة « وللرجال عليهن درجة » لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله وفى كل ذلك سداد وتوافق مع طبيعة الاجتماع التى جرت فى كل زمان ومكان وظرف ، على أن يكون للرجل الرئاسة فى الأسرة لأنه الأبرز والأقدر على تلقى المشاكل وحلها^(١) .

وينبغى للرجل ألا ييغى بفضل قوته على المرأة ، ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعهده خافضاً لقدرها ، بل أن وجود الرجل هو الذى ييسر للمرأة القيام بوظيفتها الفطرية ، وهى الحمل والولادة وتربية الأطفال وهى آمنة فى سربها ، مكفية ما يهملها من أمر رزقها^(٢) .

والعلاقة بين المرأة والرجل علاقة تكامل لا تماثل ، فلكل

(١) محمد عزة دروزة ، المرأة فى القرآن والسنة ، ص ٣١ .

(٢) نداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، باختصار وتصرف ، ص ٣١ .

منهما دوره ، ومن الخطأ أن يرغب أحدهما في التنحي عن الدور المطلوب منه ، ويطمح في دور الطرف الآخر ، قال تعالى: ﴿ ولا تتمنوا ما فضل به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليماً ﴾ (النساء : ٣٢)

٢ - القرار في البيت :

المرأة المسلمة صاحبة رسالة هادفة ، تتمثل في رعاية أسرتها وتربية أبنائها وبناتها ، وقيامها بحق زوجها وهذه الرسالة السامية تستدعي قرارها في بيتها ، متحصنة بعفتها ودينها ، فإذا خرجت من بيتها لأمر من الأمور خرجت في ثياب ساترة ملتزمة أمر الدين في غض البصر والبعد عن المحرمات . وقد التزمت نساء السلف الصالح بذلك فتركن للبشرية ذرية صالحة ورجالا صالحين ، ازدانت الدنيا بأخبارهم وتجل التاريخ بحسن فعالهم .

روى البخارى ومسلم عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها أنها قالت : « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحة وأعلفه ، وأستقى الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى ، ولقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه ، والنوى على رأسى ، فقال ﷺ : « أخ أخ لينىخ ناقتة ويحملنى خلفه » فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أنى

قد أستحييت ، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى ، فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه .

إن عناية المرأة المسلمة وجهدها ينبغي أن يبذل في تربية النشء ورعايته ، ونظام المنزل وسعادته ، وتعليم الأبناء والبنات وتأديبهم بأدب الدين والحياة . روى أن أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزوج : إنك خرجت من العش الذي فيه درجت ، فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضاً يكن لك سماء ، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً ، وكوني له أمة يكن لك عبداً ، لا تلحفى به فيقلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ، وإن دنا منكى فاقربى منه ، وإن نأى فأبعدى عنه ، واحفظى انقه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيباً ، ولا يسمع إلا حسناً ، ولا ينظر إلا جميلاً .
قال الغزالي في الإحياء :

« والقول الجامع في آداب المرأة ، أن تكون قاعدة في بيتها ، مهتمة بعملها ، تحفظ بعلمها في غيبته ، وتطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن خرجت فمختفية ، تطلب المواضع الخالية ، دون الشوارع والأسواق ، محتترزة من أن يسمع غريب صوتها ، أو يعرفها بشخصها ، همها صلاح شأنها ، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها ، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج » (١) .

(١) إحياء علوم الدين ، كتاب آداب النكاح ، ص ٧٥٦ ، لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

وقد أدب الله نساء النبي الكريم بأدب السماء حين قال سبحانه : ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ، إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٣٣ - ٣٥) .

المرأة المسلمة الآن :

إن وضع المرأة المسلمة في عدد من البلاد الإسلامية ، بل في كثير منها وضع يتنافى مع أدب الإسلام وهديه . فقد خرجت سافرة متبرجة « كأنها تعرض مفاتها لتوجه أنظار الرجال إليها ، أو تثير إعجابهم بمحاسنها ، وإن لم تكن حسناء ، لتستمتع بما يوجه إليها من نظرات الاستحسان الأثيمة أو الكاذبة ، وإلا لماذا تكشف الحرة الشريفة عن عوراتها ومفاتها لغير زوجها ومحارمها ، والله تعالى يقول : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ (الأحزاب : ٥٩) .

وقد أصبح خروج المرأة على ما وصفنا عادة مألوفة في الشوارع والمتاجر والمجتمعات العامة ، ومظهرها من مظاهر المدنية الحديثة التي فتن الناس بها .. فيا لله للمسلمين من

تقليد أعمى .. اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .
 وخروج المرأة في حد ذاتها ليس حراماً إذا كان لهدف أو
 مقصد مشروع وإنما يحرم إظهار المفاتن والعورات والخلوة
 بغير المحارم « (١) » .

٣ - ولاية التأديب :

قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله
 بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات
 قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن
 فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم
 فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ .
 جعلت الآية النساء نوعين :

النوع الأول : الصالحات ، ولسن فى حاجة إلى تأديب ،
 فقد بلغن بصلاحهن وخضوعهن لله ولأزواجهن مرتبة سامية .
النوع الثانى : من يخاف نشوزهن وإنحرافهن عن الصراط
 المستقيم فهن فى حاجة إلى تهذيب وتأديب ، وقد شرع من
 أساليب التهذيب ووسائل التأديب ثلاثاً :

الأول : الموعظة الحسنة ، وهذا ما يلائم حال المرأة التى
 تكفيها الإشارة أو الكلمة ، والزوج أدرى بما يصلح امرأته من
 ذلك .

الثانى : الهجر فى المضجع ، وقد قيل إن المراد به المبيت
 فى حجرة غير التى تبين فيها ، وقيل فى فراش غير فراشها
 وقيل إن التعبير بقوله تعالى « فى المضاجع » يدل على

(١) الأستاذ على حسب الله ، الزواج فى الشريعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ص ٢٠٣
 بتصرف واختصار .

هجرها مع المبيت معها فى فراشها ، ولعل هذا يكون آلم لها .
وما دام المقصود التأديب فالأولى أن يترك تقدير ذلك إلى
الزوج ، ليفعل منه ما يلائم حاله ، وما يراه ادعى إلى كبح
جماح زوجه .

الثالث : الضرب ، ويجب ألا يكون مبرحاً شديداً إلا بلام .
وقد روى عن ابن عباس تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه ،
ومن هنا نرى أن القصد فيه إلى الإيذاء المعنوى أقوى من
القصد إلى الإيذاء البدنى .

والعارف بأحوال النساء فى البيئات المختلفة يدرك أن
منهن من لا تصلح إلا بهذا النوع من التأديب .

فهو توجيه من العليم الحكيم لتستقيم الأسر وتتمتع
بالاستقرار والانتظام . وليتخير كل زوج من يناسب زوجته
من أساليب التأديب .

ومن الخير أن يقضى الزوجان وقتاً فى دراسة وضعهما ،
ومعرفة الأسباب التى تزعج الزوج ، والأسباب التى تؤلم
المرأة ، ويتفقان على تجنب كل واحد منهما ما يؤلم الطرف
الأخر ، ومن الخير أن تكون النصيحة هادئة بعيدة عن الأنفعال
والغضب ، حتى لا يجرح الطرف الآخر ، ولا تأخذ العزة
بالاثم .

قال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى

ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقر كالدفع مرة

فإنك لا تدريين كيف المغيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى
 ويأبأك قلبى والقلوب تقلب
 فإننى رأيت الحب فى القلب والأذى
 إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
 وفى خطبة حجة الوداع قال رسول الله ﷺ :
 ألا واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنما هن عوان عندكم ،
 لا تملكون منهن شيئا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ،
 فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير
 مبرح ، فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على
 نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن
 فراشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ،
 وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن .

الحقوق المشتركة بين الزوجين

من الحقوق المشتركة بين الزوجين ما يأتي :

١ - حل استمتاع كل منهما بالآخر

٢ - حسن العشرة

١ - حل الاستمتاع

ضبط الدين غريزة البطن والفرج ، فأمر بغض البصر وحفظ الفروج وأكل الحلال والالتزام بحدود الله ، قال تعالى في صفات المؤمنين الفالحين : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾

(سورة المؤمنون : ٥ - ٧)

فلكل من الزوجين حق الاستمتاع بصاحبه ، وهذا أمر تدعو إليه الفطرة ، ويتوقف عليه التناسل ، فعلى كل منهما أن يلبي داعي الفطرة البشرية ، ولا يمتنع على الآخر ، ما لم يكن هناك ما يمنعه من مرض أو حيض أو غير ذلك من الموانع .

وقد حكى عن كثير من العلماء أن الجماع حق للمرأة كالرجل ، ولها أن تطالب به ، ولعل من جعله حقاً للرجال وحده نظر فيه إلى توقفه على شرط إيجابى من قبله وسلبى من قبلها وهو عند الحنفية من الأمور التى لا يتناولها القضاء والإلزام إلا الوطأة الأولى ، وهو واجب على الزوج لامرأته

ديانة ، بحيث لا ينقطع عنها مدة الايلاء - أربعة أشهر - من غير رضاها^(١) .

٢ - حسن العشرة :

الزواج فيه ازدواج ومخالطة ومعاشرة ، وفيه تعاون وتكامل ، وقد حث الإسلام على حسن العشرة بين الزوجين ، ونفر من الظلم والتظالم بينهما .

وقال سبحانه : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣٨) . وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (الروم : ٢١)

« فكل من الزوجين مطالب بإحسان معاشرة الآخر ، ويكون ذلك بالبعد عما ينفر ، والسعى إلى ما يرضى ، والتعاون على دفع الشر وجلب الخير ، والإخلاص في أداء الواجب مع العطف والتسامح وحسن الحديث ، وإحترام الرأي وما إلى ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية من أسباب السعادة والإطمئنان ليدوم الوفاق والوثام ، ويتمتع الأبناء بسعادة الآباء »^(٢) .

وقد أكثر القرآن من استخدام كلمة المعروف ، وهي ما عرف عن الشرع حسنه ، وما تعارف الناس عليه ، واعتبر من الآداب العامة ومكارم الأخلاق .

قال تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾

وقال سبحانه ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾

(١) على حسب الله ، الزواج من ٢٠٧ ، والفرقة بين الزوجين ، ص ١٤٤ .

(٢) الأستاذ على حسب الله ، الزواج ، ص ٢٠٨ بتصرف .

فالحياة بين الزوجين لا يصلحها إلى التعاون والتضحية والإخلاص والإيثار ، وقد عقد أبو حامد الغزالي باباً في آداب المعاشرة بين الزوجين قال فيه :

ومن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الزوج ، الاعتدال والآدب في (١٢) اثني عشر أمراً . في الوليمة والمعاشرة ، والدعابة والسياسة ، والغيرة ، والنفقة والتعليم ، والقسمة ، والتأديب في النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق . وسوف نتحدث عن خمسة من أهم هذه الآداب إن شاء الله تعالى .

آداب تتعلق بالزواج

على الزوج مراعاة الاعتدال فى خمسة أمور هى :

- ١ - الوليمة
- ٢ - الصبر والاحتمال
- ٣ - المداعبة والمزاح
- ٤ - مزج المداعبة بالحزم
- ٥ - الاعتدال فى الفيرة

١ - الوليمة :

الزواج فى حد ذاته نعمة كبرى فيه صيانة الاعراض ، وامتناع النفس ، وبه تتم راعية الذرية وإثراء الحياة ، ولذلك شرعت الوليمة لأجله ابتهاجا به وإعلانا له ، والوليمة طعام يدعى إليه الأصدقاء ، من الأغنياء والفقراء ، ومن منكرات الزواج المبالغة فى الولائم ، وإحضار العازفين والراقصين والراقصات ، والجناية على الفضيلة والتبذير والإسراف والبذخ ، وقد نهى القرآن عن الإسراف والتبذير ، فقال تعالى : ﴿ ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ (سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧) .

إن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، ونحن لا ندعو إلى البخل والشح ، ولا إلى الاسراف والتبذير ، وإنما ندعو إلى الاعتدال

فى نفقات الزواج ووليمة العرس ، حسب اليسار والإعسار ،
إن الوليمة سنة نبوية من هدى النبوة ، وهى مستحبة للقادر ،
ولكن الالتزام بمظاهر الولائم ، ونفقات الأفراح ، جعل بعض
الناس يغالون فيها غلوا فاحشا ، يخرجها عن هدى الدين ،
وتعاليم سيد المرسلين .

أعرف تاجرا مسلما ملتزما من أسرة متدينة زوج كريمته ،
وصنع احتفالا فى فندق كبير بالقاهرة ، وقاربت نفقات الحفل
خمسين ألف جنيه ، واستقدم فى الحفل طائفة من المغنيات
والراقصات وهى أمور بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وهدى
سيد الأنام .

فإذا كان هذا حال مسلم ملتزم ، فماذا يصنع عامة الناس ؟
إن المسلمين فى حاجة إلى صحة وبقظة وتمسك بروح
الإسلام واعتزاز به ، والتمزام بما جاء به النبى الأمين ، ويجب
أن تعرف كل عروس أن الكرامة ليست فى اتباع التقاليد الآثمة ،
ولكن فى اتباع الهدى الإسلامى لنكون حقا خير أمة أخرجت
للناس .

لقد ورد فى هدى النبوة الحث على إعلان الزواج ،
والضرب عليه بالدف ، وأبىح الغناء فى حفلات العرس ،
بشرط أن تكون هناك الكلمة والأداء واللحن وغيرها مما يشيع
البهجة والسرور ، ولا يثير الفتنة والرذيلة . فالغناء ، والضرب
بالدف ، وإظهار البهجة والسرور ، أمور مندوبة أو مباحة ،
وهى تعبر عن سماحة الدين ويسره ، وإن الإسلام لا يؤيد
المتزمتين المتشددتين ، الذين يرفضون كل لهو مباح ، وهو فى
نفس الوقت لا يؤيد المتجاوزين ، الذين يرون الأفراح لا تنتم إلا

باستقدام الراقصات المائلات المميلات ، الذين لا يرون رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام .
نحن فى حاجة ملحة إلى تيسر الزواج ، وتسهيل نفقاته ، حتى يقدم الشبان والشابات على الزواج بدون معوقات ، وبدون نفقات اضافية باهظة .
صحيح أن الوليمة سنة ، ولكنها طعام عادى يقدمه الزوج حسب قدرته وطاقته .

روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة « الطيب » فقال ما هذا ؟ فقال عبدالرحمن تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، فقال النبى بارك الله لك أولم ولو بشاة . ومعروف أن عبدالرحمن بن عوف كان من أثرياء المسلمين .
وروى الأربعة عن أنس قال أولم رسول الله ﷺ على صفية بتمر وسويق .

أى أن الوليمة يمكن أن تكون ثريدا ولحما ، ويمكن أن تكون أى نوع من الطعام ليس فيه لحم بحسب حالة الشخص ، وهى مستحبة وليست أمرا واجبا .

وربما كان الأفضل للفقراء والشباب الناشئ الاقتصاد فى التكاليف قدر الامكان ، حتى يتيسر أمر الزواج ويتم إحسان المؤمنين والمؤمنات .

وتستحب تهنئة العروسين ، فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك ، وبارك عليك وجمع بينكما فى خير .

روى أبو داود والترمذى وصححه ابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال فى تهنئة الزوج « بارك الله لك وبارك عليك

وجمع بينكما فى خير .

ويستحب إظهار النكاح وإعلام الناس به . روى الترمذى وحسنه وابن ماجة أن النبى ﷺ قال : « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت » .

وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بنى بى ، فجلس على فراشى ، وجويريات لنا يضربن بدفهن ، ويندبن من قتل من آبائى ، إلى أن قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد .. فقال لها « أسكتى عن هذه وقولى الذى كنت تقولين قبلها » .

إن الغناء الجيد وسيلة لتسرية النفس وامتاع العاطفة وإيناس الزوج والزوجة ، بشرط الالتزام بما ورد فى السنة من ناحية الكلمة التى تغنى ومن ناحية العزف بالدف ومن ناحية عدم الإثارة والفتنة .

٢ - الصبر والاحتمال

عاطفة المرأة جياشة ، وهى مفطورة على سرعة الانفعال ، وقد خلقها الله كذلك لتقوى فيها عاطفة الامومة ورعاية الأسرة ، واحتمال آلام الحمل والرضاعة والفصال والتربية ، وقد أمر الإسلام الرجل بحسن الخلق ، واحتمال الأذى من الزوجة ، وكف الأذى عنها والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله ﷺ .

فقد ورد فى الصحيحين أن أزواجه كانت تراجعنه الكلام^(١) ، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل .

(١) أى ترد عليه الكلام ، وتلقح عليه غيرها يامرأها به .

وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقد أتراجعيني بالكاء ؟ فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه ، فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ، ثم قال لحفصة لا تغترى بابنة أبى قحافة فانها حب رسول الله ﷺ وخوفها من المراجعة .

وروى النسائي فى السنن الكبرى وابن ماجه عن أم سلمة أن آخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه ، وخفى كلامه ، جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا تكفوههم ما لا يطيقون ، الله الله فى النساء فانهن عوان فى أيديكم » يعنى أسراء « أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول لى : « إنى لأعرف غضبك من رضاك » قالت وكيف تعرف ؟ « قال : إذا رضيت قلت لا والله محمد وإذا غضبت قلت لا والله إبراهيم » قالت صدقت إنما أهرج إسمك ، وفى رواية والذى بعثك بالحق نبيا ما أهرج إلا إسمك .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنه طلقها وأنا لا أطلقك » فقالت عائشة : بل أنت والله خير لى من أى أبى زرع لأم زرع . وهذه الأحاديث الشريفة ترشد إلى مؤانسة الزوج لزوجته ، وامتناع آذانها بالكلمة الحلوة ، والأمل البسام ، وينبغى أن تجامله الزوجة وأن تردد على مسامعه كلمات الحب والود ، حتى تنتشر السعادة ، ويرفرف على البيت المسلم رايات المودة والوئام .

وفى الأثر : إذا كرهت المرأة زوجها فلا تخبره بذلك ، فليست كل البيوت تبني على الحب ، ولكن على التذمم والوفاء ، أى مراعاة الذمة والأمانة والوفاء ، لعقد القران بين الزوجين .
ويجب على الجيل الناشئ أن يعرف أن الحب قبل الزواج لا يستمر دوماً ، وأن أفضل أنواع الزواج ما نشأ عن اختيار عاقل هادئ رزين ، ثم يأتى الحب بالمودة والعشرة ، فإنما الحب بالتحبب والصبر بالتصبر . وما نراه فى أفلام السينما ، وروايات المسرح من الحب لأول نظرة ، وترك الزوجة لزوجها لوقوعها فى حبائل عاشق ، أمور تروج فى صناعة السينما والمسرح . أما الحياة العادية فتحتاج إلى صبر والتزام بهدى الإسلام ، فقد أمر الله بغض البصر وحفظ الفروج ، والاستئذان على البيوت ، وحرم كل علاقة آثمة ، وحث الدين على الوفاء بين الزوجين ، وعدم المسارعة إلى طلب الطلاق ، أو تحطيم عرى الزوجية .

قال تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (النساء : ١٩)
وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن اعوج ما فى الضلع أعلاه ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها ، فاستمتع بها وفيها عوج ، واستوصوا بالنساء خيراً » .

٣ - المداعبة والمزاح

ورد فى الأثر : « روحوا القلوب ساعة ، فإنها إذا تعبت كلت ، وإذا كلت عميت » ، والمرأة مرهفة الأحساس ، ومن الخير أن تتم معاملتها بلطف وحنان ، وإذا دخل الحب فى القلوب جعلها تحتمل الآلام وتنتظر المستقبل السعيد . ولا شك

أن هذه السعادة النفسية لها أهمية كبرى فى بناء الإنسان المعاصر ، فهى ترياق نافع وعقار مفيد ، إن البسمة واللمسة الحانية والمزاح والملاعبة هى التى تطيب قلوب النساء .

وقد كان ﷺ يمزح معهن ، وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق . حتى روى أبو داود والنسائى وابن ماجه عن عائشة بسند صحيح أن رسول الله ﷺ كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما ، وسبقها يوما فى بعض الأيام ، فقال عليه السلام : هذه بتلك .

وفى الخبر أنه كان عليه الصلاة والسلام من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ، فقال لى رسول الله ﷺ : اتحبين أن ترى لعبهم ، قالت قلت نعم ، فأرسل إليهم فجاء وأقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله ﷺ يقول « حسبك » وأقول أسكت مرتين أو ثلاث ، ثم قال : يا عائشة حسبك ، فقلت نعم ، فأشار إليهم فأنصرفوا » (١) .

وروى الترمذى والنسائى والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ولطفهم بأهله » .

وروى الترمذى وصححه أن رسول الله ﷺ قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم » ، وفى رواية « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » . وقال عمر رضى الله عنه :

(١) متفق عليه ، وفى رواية يوم عيد ، دون ذكر يوم عاشوراء .

« ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا » .

وقال لقمان : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي ، وإذا كان في القوم وجد رجلا .

وفي الصحيحين : « ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواز مستكبر » .

والعتل هو الفظ اللسان ، الغليظ القلب على أهله . والجواز : الشديد المتكبر في نفسه .

ولأبي داود : « لا يدخل الجنة الجواز ولا الجعظري » ، وهو الشديد المتكبر الغليظ القلب .

ووصفت أعرابية زوجها فقالت : والله لقد كان ضحوكا إذا ولج ، سكيئا إذا خرج أكلا ما وجد ، غير مسائل عما فقد .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لجابر هل تزوجت ؟ قال نعم ، فقال له بkra أم ثيبا قال ثيبا ، فقال ﷺ له : هلا بkra تلاعبها وتلاعبك ^(١) .

إن الرجل المثالي في هدى الإسلام هو الذى يكون قويا في نفسه ، ملتزما حدود الله ، حازما في غير عنف ، رقيقا في غير ضعف ، صفوحا عن الزلات ، متسامحا عن الهفوات ، يرى أن الضعف البشرى ملازم للرجل والمرأة على السواء ، وصدق الله العظيم : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ (سورة النساء : ٢٨) . فينبغى أن ننظر إلى شريك العمر على أنه بشر يخطئ ويصيب ، وتعتريه فترات القوة والضعف ، والرشد والغى ، فينبغى أن نسدده وننصحه بالتى هي أحسن .

(١) انظر الإحياء للغزالي ، كتاب آداب النكاح ، ص ٧٣٠ ، ربع العادات ، طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

ومن دراسة تراثنا العربى والإسلامى نجد أن الرجل المثالى فى عين الزوجة هو الذى يكون لطيفا ودودا بشوشا متسامحا حازما . ومن ادعى أن الرجل المثالى هو القوى العنيف الشديد الغليظ فقد جاوز الحد .

وينبغى أن تبنى الذرية على هذا الأساس ، الحياة الزوجية تعاون وتسامح وعطف ومودة ومحاولة أخذ كل طرف بيد الآخر.

٤ - مزج المداعبة بالحزم

بالعدل قامت السماوات والأرض ، وخير الأمور الوسط ، وشر الأمور الشطط ، والمؤمن ينبغى أن يكون لنا فى غير ضعف ، وحازما فى غير عنف .

يقول أبو حامد الغزالى :

« ينبغى ألا يتبسط الرجل فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى زوجته إلى حد يفسد خلقها ، ويسقط بالكلية هيئته عندها . بل يراعى الاعتدال ، فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة ، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتنع ، قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال الإمام الشافعى : ثلاثة أن أكرمتهم أهانوك ، وإن أهنتهم أكرموك : المرأة والخادم والنبطى ، أراد به إن محضت الأكرام ولم تمزج غلظك لينك ، وفظاظتك برفقك ، وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج ، وكانت المرأة تقول لأبنتها ، اختبرى زوجك ، قبل الأقدام والجرأة عليه ، انزعى زج رمحه ، فإن سكنت فقطعى اللحم على ترسه ، فإن سكنت فكسرى العظام بسيفه ، فإن

سكت فاجعلى الأكاف على ظهره وامتنطيه فإنما هو حمارك .
 إن سياسة المنزل أمر خاص ، يكاد أن يكون فيه لكل حادث
 حديث ، وقديما قالوا لا تكن رطبا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر ،
 لكن المؤمن ينبغي أن يغلب جانب العطف والرحمة على جانب
 القهر والشدّة ، وفى الأثر : ما دخل الرفق شيئا إلا زانه ، وفى
 الحديث الشريف : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا .
 فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فليُنظر
 الرجل أولا إلى أخلاق زوجته بالتجربة ، ثم ليعاملها كما
 يقتضيه حالها ^(١) .

٥ - الاعتدال فى الغيرة

ينبغي أن يكون الرجل معتدلا فى غيرته غير مبالغ ولا
 مفرط . والأصل حمل حال المؤمن والمؤمنة على الصلاح ،
 ولذلك ينبغي ألا يتجسس الرجل على زوجته ولا يتهمها
 بالخيانة ، بل الأساس أن يمنحها الثقة ، ويؤكد لها هذا المعنى
 ليكون ذلك صمام الأمان فى تماسكها أمام الإغراء والشر .
 وفى صحيح مسلم : نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات
 النساء ، وفى رواية نهى أن تتطلب عثرات النساء ، وفى
 صحيح البخارى : نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل زوجته
 ليلا ، يتخونها . والمعنى أن يعود من سفره ليلا ، ليتفقد
 خيانة زوجته .

إن الثقة التامة أساس اختيار الزوجة ، وإذا مزجت بالغيرة
 المعتدلة ، والرعاية الحانية ، كانت عنوان المحبة الصادقة ،

(١) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، كتاب النكاح ربع العادات ، ص ٧٣٢ .
 طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيره الله تعالى أن يأتى الرجل ما حرم عليه » .

وفى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه أن رسول الله ﷺ قال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ أنا أغير منه ، والله أغير منى » .

ولأجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وروى أبو داود والنسائى وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : « إن من الغيرة غيرة يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، وأما الغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة » .

وفى الصحيحين من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائها جارية فقلت لمن هذا القصر ؟ قيل لعمر ، فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر » ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟ . وكان الحسن يقول : أتدعون نسائكم يزاحمن العلوج فى الأسواق قبح الله من لا يغار .

بوادى الخلاف

إذا بدرت بوادر الخلاف بين الزوجين ، وأحس أحدهما بالحزن أو الأسف لهذه الحياة الزوجية ، فقد حث الدين على الصبر والتريث ، ومعالجة الموقف بالحكمة والصبر . قال تعالى : « وعاشروهم بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

أحيانا تتور أعصاب الإنسان ، أو يقلت لسانه بكلمة جارحة ،

ومن الخير للطرف الآخر أن يتمسك بالحكمة والصبر ، حتى تهدأ العاصفة ، وتستقر النفوس ، ويحس الجميع بالأمان والمودة والإمتنان ، قال تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ (فصلت : ٣٤) .

وصية أب لابنته

- ١ - احذرى الكذب على زوجك ، فالكذب يخلق فى نفس الرجل الشك والأرتياب ، وهما سم الحياة الزوجية .
- ٢ - إحذرى شدة الأنفعالات العصبية ، فهى تجعل البيت شبه جحيم .
- ٣ - إحذرى الإسراف فى التجميل ، متى كان زوجك غيورا ، لأن ذلك يغضب الزوج الغيور ويثيره ، ويلقى فى روعه أن زوجته تتجمل لسواه .
- ٤ - إحذرى الإسراف فى مدح أى رجل غريب أمام زوجك ، فقد يصدر المدح منك بحسن نية ، ولكن الزوج يكره أن تمدح إمرأته رجلا غريبا على مسمع منه .
- ٥ - إحذرى البطنة فإنها تفسد الجمال وتجلب البدانة .

وصية أم لابنتها

أى بنية : لا تغفل عن نظافة بدنك ، فإن نظافته تضئ وجهك ، وتحبب فيك زوجك ، وتبعد عنك الأمراض والعلل ، وتقوى جسمك على العمل فالمرأة التفتلة - غير النظيفة - تمجها الطباع وتنبو عنها العيون والأسماع ، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مستبشرة ، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه .

غيرة رجل ومروعة امرأة

شكت امرأة مطلقه مطلقها وأوقفته أمام القضاء ، مطالبة بحقها ، فأنكر الزوج ما أدعته عليه ، وأحضر شهوده ، فطلب القاضي أن تكشف المرأة المطلقة وجهها ، ليشير إليها الشهود في شهادتهم ، فلم يقبل مطلقها أن يرى أجنبى وجه مطلقته ، واعترف بدعواها ، ولو أن فى ذلك إدانته ، فتنازلت هى الأخرى عن قضيتها ، وأشهدت القاضي أنها أبرأت مطلقها مما لها عليه فى الدنيا والآخرة ، مقابل غيرته عليها .

وفاء زوجة

يحكى أن رجلاً أراد أهل زوجته أن يفرقوا بينه وبينها ، لفقر نزل به بعد غنى ، فرفع شكواه إلى الحاكم ليفصل بينهما ، فأمر الحاكم باحضارها ، فلما مثلت بين يديه راقه جمالها ، وود لو أنها كانت زوجة له فقال لزوجها : إننا نخيرها بيننا ، فقال الرجل ذلك إليك ، فتوجه الحاكم نحوها وقال : يا سعدى ، أينا أحب إليك ؟ الملك فى عزة وشرفه وقصوره ، أم هذا الأعرابى فى جوعه وأطماره ؟ فأشارت الزوجة إلى زوجها وأنشأت تقول :

هذا وإن كان فى جوع وأطمار

أعز عندي من أهلى ومن جارى

ثم قالت : لست والله لحدثان الدهر بخاذلته ، ولقد كان لى معه معيشة راضية ، وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذى كتب الله لى منه ، فتعجب الحاكم من عقلها

ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم .

قال أحد الحكماء :

« المرأة الطيبة توحى إلى الرجل ، والذكية تثير اهتمامه ، والجميلة تأسره ، ولكن المرأة العطوف الرقيقة هي التي تحصل عليه . »

كلمة إلى الشباب

عند بداية الحياة الزوجية ، ستفاجأ بتبدد كثير من الأحلام الوردية ، وستصحو على تكاليف الحياة والتزاماتها ونفقاتها ، وينبغي أن يتعاون الزوجان أمام ذلك بجد وإخلاص ، الرجل موقعه خارج المنزل للكسب والعمل ، والمرأة موقعها في المنزل للنظافة وإعداد الطعام وإعداد الأسرة كلها في المستقبل، وعند بداية النزاع لا ينبغي الأسراع إلى الأهل والأقارب ، وينبغي الاعتماد على النفس ، وتدارس الموقف ، واستماع كل طرف لما يشتكى منه الطرف الآخر ، ومحاولة الابتعاد عن ما يغضب أو يؤلم .

وقد شرع القرآن ثلاث مراتب لعلاج نشوز المرأة :

الأولى : النصيحة الخالصة وتذكيرها بواجباتها وتحذيرها من شماتة الآخرين ، وينبغي أن تكون النصيحة رقيقة مبعثها الحب والإخلاص والتقدير .

الثانية : الهجر في المضجع ، أو الأعراض النفسى ومقاومة الرغبة الجسدية فيها ، لعل ذلك يهدد من كبريائها ، ويردها إلى صوابها .

الثالثة : الضرب الخفيف الذى يصيب الوجه ولا يبالغ فى الألم ، بل ضرب بنحو السواك أو القلم الرصاص . فهو أمر

معنوى أكثر منه حسى ، وقد وردت فى هذا أحاديث كثيرة تقبح الضرب وتنفر منه .

وفى النهاية ينبغى للرجل أن ينتهز أول فرصة مواتية لإنهاء التوتر وإعادة الحياة إلى مجاريها ، وإسباغ الحنان والعطف على جو المنزل . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ﴾ (النساء : ٣٤)

والضرب شرعه القرآن ، كجرعة من الدواء المر ، تفيد فى بعض الأحيان للبقاء على الحياة الزوجية بدلا من تصدع شمل الأسرة . والأخيار من الرجال لا يضربون ، ويكتفون بالوعظ والهجر والخيرات من النساء لا تُضْرَب ، وإنما الضرب لفئة محددة ولظروف معينة ، والقرآن يُشْرِع لجميع الفئات ولجميع الطبقات . والضرب يراد منه التهديد . وفى الحديث «آخر الدواء الكى» . وروى البيهقى من حديث أم كلثوم بنت الصديق رضى الله عنها قالت : « كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن إلى رسول الله ﷺ بأنهن تمردن عليهم ، حتى قال عمر : يا رسول الله قد ذار النساء على أزواجهن ، أى تمردن وعتين فى النشوز والجرأة ، فخلى بينهم وبين ضربهن ، ثم قال : ولن يضرب خياركم » .

« فما أشبه هذه الرخصة بالحظر ، وجملة القول إن الضرب علاج مر ، قد يستغنى عنه الخير الحر ، ولكن لا يزول من

البيوت بكل حال ، أو يعم التهذيب النساء والرجال » (١) .
وقد اعترض البعض على عقوبة الضرب ، وقد كتب الأستاذ عباس العقاد فى الرد على هؤلاء المعترضين يقول :
« وهو فيما يبدو لايسر نظرة - إعتراض متعجل فى غير فهم ، وعلى غير جدوى وليس هذا الاعتراض بالجائز إلا على وجه واحد ، وهو أن العالم ، لا تخلق فيه امرأة تستحق التأديب البدنى ، أو يصلحها هذا التأديب ، وإنه لسخف يجوز أن يتحذلق فيه من شاء على حساب نفسه ، إظهارا لدعوى النخوة والفروسية فى غير موضعها ، وليس بالجائز أن يتحذلق به على حساب الشريعة أو الطبيعة ولا على حساب كيان الأسرة وكيان الحياة الاجتماعية .

إن المقام مقام العقوبة ، بل مقام العقوبة بعد بطلان النصيحة ، وبطلان القطيعة ، ولم يخل العالم الإنسانى رجالا ونساء ممن يعاقبون بما يعاقب به المذنبون ، فما دام فى العالم امرأة من ألف امرأة تصلحها العقوبة البدنية ، فالشريعة التى يفوتها أن تذكرها ناقصة ، والشريعة التى تؤثر عليها هدم الأسرة مقصرة ضارة ، واللغة بهذه الحذقة نفاق رخيص ، والتماس للسمعة الباطلة بأخبط أثمانها ، وقد أجازت الشرائع عقوبة الأبدان للجنود ، ولها مندوحة عنها بقطع الوظيفة وتأخير الترقية والحرمان من الأجازات والحريات ، فإذا امتنع العقاب بغيرها لبعض النساء ، فلا غضاضة على النساء جميعا العقوبات من جميع القوانين .. وإن عقوبة الجناة تغض من الأبرياء ، وإلا لوجب إسقاط جميع العقوبات

(١) نداء للجنس اللطيف ، تأليف السيد محمد رشيد رضا ، ط ٢ ، ص ٣٥ .

من جميع القوانين.. وإن العقوبة البدنية فى حكم الإسلام جد كريمة، وما أبيض إلا لاتقاء ما هو أكره منها وهو الطلاق»^(١) .
وقال الإمام محمد عبده فى تفسير المنار « الضرب أمر يحتاج إليه فى حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة ، وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه .. ونحن مأمورون على كل حال بالرفق بالنساء واجتناب ظلمهن، وإمساكهن بمعروف أو تسريحهن بأحسان » .

وقال القرطبى فى تفسير الآية : « واضربوهن » أمر الله أن يبدأ النساء بالموعظة أولا ، ثم بالهجران ، فإن لم ينجح فالضرب .. والضرب فى هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح، وهو الذى لا يكسر لها عظما ، ولا يشين جارحة ، كاللكزة ونحوها فإن المقصور منه الصلاح لا غير .. « فلا حرج إذا أدى إلى الهلاك وجب الضمان .. » .

التحكيم بين الزوجين

إذا استحکم الخلاف بين الزوجين ، وعجزا بوسائلهما الخاصة ، عن حل مشاكلهما فلا مانع من الاستعانة بخبرة الآخرين وحكمتهم ، واختيار حكم من أهل الزوجة لدراسة اسباب النزاع ، ووضع خطة لرأب الصدع وتلافى الانفصال ويمكن أن يرفعا توصيتهما للقاضى ، إذا كان الأمر قد وصل إلى القضاء ، قال تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ﴾ (النساء : ٣٥) .

(١) الموسوعة ٥١٧/٤ - ٥١٨ .

فإذا استحالت الحياة بين الزوجين ، وانعدم التوافق بينهما ، ولم يمكن التوفيق بينهما بحال . وإذا تكرر العجز عن الصلح كان الفراق : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

وقد حذر الإسلام من الطلاق لما يترتب عليه من تصدع الأسر وتشرد الذرية ، وضياع الأجيال .

قال رسول الله ﷺ « إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات فإذا تزوجتم فلا تطلقوا » .

والذواق هو الذى ينظر للمرأة كالفاكهة يذوق طعمها ، ويرغب فى الانصراف إلى أخرى .

والذواقات المرأة التى تطلق من زوج لتتزوج ثانيا وثالثا ، فالزواج عندها رغبة فى رجل ثم تنصرف عنه إلى آخر .

ولهذا أمر الدين بغض البصر ، وحفظ الفرج ، والبعد عن الحرام ، وإذا رغب الرجل فى امرأة أخرى فليذهب إلى زوجته وليجامعها ، وليلزم القناعة والالتزام بحدود الله ، وليبتعد عن ظلم المرأة أو الاعتداء عليها ، وليحذر التخلّى عن زوجته إلى زوجة أخرى ، فإن عين الله ساهرة لا تنام وهو لا يرد دعوة المظلوم ، قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا الظلم شيمته يدعو إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم
وفى الأثر إن امرأة خاصمت زوجها إلى أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب ، وصرحت للخليفة العادل بأنها لا تحب زوجها ،
فقال لها عمر :

« إذا كانت أحداكن لا تحب الرجل منا ، فلا تخبره بذلك ،

فان أقل البيوت ما بنى على المحبة ، وإنما يتعاشر الناس بالحب والإسلام .

يعنى إن التزام كل من الزوجين بحفظ شرف الآخر ، والعمل لما يرشد إليه الإسلام من الواجبات والاداب الزوجية ، هو الذى تنتظم به الحياة الزوجية .

وينبغى لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب إلى الآخر بأكثر مما يجده فى قلبه ، فإن التطبع يصير طبعاً .
قالت عليه بنت المهدى أخت هارون الرشيد : تحبب فإن الحب داعية الحب .

وفى الحديث الشريف يقول النبى ﷺ : « العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر » .

إن قناعة الزوجة ورضاها سبب من أسباب رضوان الله عليها ، وإذا ماتت الزوجة وزوجها عنها راض دخلت الجنة . وإذا أفسدت الحياة الزوجية ، ورغبت فى الطلاق عدواناً على زوجها ، أو تطلعا إلى زوج آخر ، فإنها تحرم من رائحة الجنة .
روى الخمسة إلا النسائى ، وحسنه الترمذى عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما سبب فحرام عليها رائحة الجنة » .

وروى الحاكم وصححه ، وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق » .

النسل والذرية

(أ) الثمرة الطبيعية للزواج ، هى النسل والذرية والأولاد ، والولد نعمة امتن الله بها علينا فى كتابه الكريم .

قال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (النحل : ٧٢) .

والتصاق الأم بالحمل وبالرضاع وبالرعاية أظهر وأوضح ، قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين ، أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ﴾ (لقمان : ١٤) .

وقال سبحانه : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ، ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ (الأحقاف : ١٥)

كما وصى القرآن برعاية الوالدين ، والأعتراف لهما بالجميل ، خصوصا في مرحلة الكبر والشيخوخة فقال سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ (الإسراء : ٢٤)

(ب) وقد حث الإسلام على أن يحتفى بالمولود وأن يبشر به والده ويهنأ به ، وشرع العقيقة وهي ذبح شاة شكرا لله على ولادة المولود .

قال تعالى : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ (آل عمران : ٣٩)

ولما ولدت مارية القبطية إبراهيم ، خرجت سلمى - قابلتها - إلى زوجها أبى رافع فأخبرته بذلك ، فجاء أبى رافع إلى

النبي ﷺ فبشره فأهدى إليه هدية على بشارته^(١) .
ولقد أبطل الإسلام عادات الجاهلية في التفرقة بين البشارة
بالذكر والبشارة بالأنثى .

(ج) وحث الإسلام على حسن تسمية المولود ، لما للأسم
الجميل من آثار نفسية وتربوية كثيرة متنوعة ، فهو يدخل
السرور والغبطة على نفس المسمى ، ويدخل الفخر والراحة
على نفس أبويه وخاصته ، روى أبو داود وابن حبان عن أبي
الدرداء أن رسول الله ﷺ قال « إنكم تدعون يوم القيامة
باسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا اسماءكم » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه أن رسول الله
ﷺ قال : « أحب الأسماء إلى الله : عبدالله وعبدالرحمن » .
وكره النبي ﷺ التسمية بالأسماء الصعبة والمعاني
المكروهة مثل : حرب وحزن ولهب ونيران ومرة وكلب . وقد
حرم الإسلام بعض الأسماء مثل : ملك الملوك ، أو سلطان
السلاطين ، أو شاهنشاه .

وقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخنع اسم
عند الله رجل يسمى ملك الأملاك » .
وكذلك التسمية بأسماء الله مثل : عزيز ورحيم وجبار ،
وكلكم سيد الناس وسيد الكل ، وسيد ولد آدم ، لأن ذلك ليس
لأحد إلا لرسول الله ﷺ .

وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يغير الأسماء القبيحة
في أصحابه فغير اسم عاصية إلى جميلة ، وحرب إلى سلم ،
وحزن إلى سهل ، والعاص إلى عبدالله ، وغراب إلى مسلم^(٢) .

(١) تحفة المودود في احكام ، لابن قيم الجزية ، ص ٦١ .
(٢) صحيح مسلم ، وتحفة المودود . والترغيب والترهيب ٤ / ١٣٩ .

(د) ومن أحكام المولود ذبح عقيقة عنه وهى شاه تذبح للمولود تيمنا بولادته ، وشكرا لله على نعمه ، وإطعاما للفقراء والمساكين ، ورغبة فى أن يحفظه الله من سوء .
روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « مع الغلام عقيقة فاهرقوا دما وأميطوا عنه الأذى » .

وروى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعة ، ويسمى فيه ، ويحلق رأسه » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ علق عن الحسن والحسين كبشا .

(هـ) ومن مظاهر الفرح بالمولود الجديد : حلق رأسه فى اليوم السابع من ولادته والتصدق على الفقراء بزنة شعره فضة أو ذهباً ، ففى الحديث الشريف عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر فاطمة فقال : « زنى شعر الحسين وتصدقى فى وزنه فضة ، وأعطى القابلة من العقيقة ^(١) » . وفى الموطأ : وزنت فاطمة شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بوزن ذلك فضة ^(٢) .

(و) ومن حقوق الطفل على والديه إثبات نسبه منهما حفظاً له من الضياع والمذلة ، وثبوت نسبه آيه من آيات القدرة الالهية قال تعالى : ﴿ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ﴾ (سورة الفرقان : ٥٤) .
وثبوت النسب حق يثبت للطفل بمجرد ولادته ، من غير حاجة إلى إجراءات من أى نوع ، فوجود الزوجية يكفى فى

(١) تحفة المودون بأحكام المولود ، لابن قيم الجوزية .

(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك ٤٥/٢

اثبات أن الوليد ينتسب إلى أبويه ، قال ﷺ : « الولد للفراش وللعاشر الحجر » (١) .

ونظرا لأهمية الانتساب الحقيقي إلى الأسرة ، ضرورة الاندماج الأسرى عن هذا الطريق ، أنكر الإسلام نظام التبني الذي كان معمولاً به في الجاهلية ، ولا يزال كذلك في كثير من تشريعات العالم الغربي ، فحرمة الإسلام نظرا لما يؤدي إليه من اختلاط الأنساب ، وأفساد مقومات الأسرة .

قال تعالى : ﴿ وما جعل ادعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ (الأحزاب : ٦) وقال سبحانه : ﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ (الأحزاب : ٥) وفي مقابل ذلك شدد الإسلام النكير على من ينتسب لغير أبيه وهو يعلم ، وعلى من ينكر نسب ولده وهو يعرف .

(ز) ومن المسئوليات المشتركة في هذا الصدد . رضاعة الطفل ، فهي تجب على أبويه ديانة وقضاء بالأجماع ، على الأم بالفعل ، وعلى الأب بالنفقة والأجرة لها أو لغيرها من المرضعات ، وقد أفاض العلم الحديث في بيان أهمية رضاعة الأم ، وأن هذه الرضاعة لا تغني عنها الوسائل الصناعية في الرضاع مهما تعددت أشكالها وأساليبها .

وجملة القول أن كل أمر يخص الوليد في مراحلته المتقدمة هو من المسئوليات المشتركة على الزوج والزوجة ، وقد سن الإسلام في ذلك أرشد السنن ، وأهدى السبل ، إحتفاء بالنسب، وتكريما له ، وتعظيما لشأنه (٢) .

(١) أخرجه الجماعة إلا أبو داود .

(٢) فلسفة نظام الأسرة في الإسلام ، ١٥٥ - ١٦٠ ، بتصرف .

وقد ادعى بعض المستشرقين أن القرآن لم يهتم بتربية الأطفال ورعايتهم وتأديبهم ، وينبغي أن نعرف أن الوحي كان ينزل ليبنى الفرد المسلم والأسرة المسلمة ، وكان سلوك الرسول العملى وتوجيهاته لأصحابه ، هى المحضن الطبيعى الذى نشأ فيه أطفال الصحابة ، وقد نشأ هؤلاء الأطفال حول القرآن والسنة وعمل الصحابة وسلوك المجتمع ، وامتصوا من المجتمع حولهم أهداف الإسلام وآدابه .

ولم تكن التربية كلاماً منفصلاً عن السلوك ، بل كانت وحيًا يطبق وقرآنًا يتحرك وسنة تنفذ . فالمستشرقون يقيسون نمط التربية الإسلامية على أنماط أخرى من التربية ، وهو قياس مع الفارق ، لأن لكل نوع من أنواع التربية فلسفة معينة ولا يصح أن نقيس بين نمط للتربية فى القرن العشرين ، ونمط فى القرن السادس الميلادى ، مع اختلاف المناخ والعصر ، ومع هذا ففى القرآن والسنة والتراث الإسلامى ، أدب متكامل لنشأة الأطفال ورعايتهم وتربيتهم ، وقد سجل ذلك فى كتب التربية الإسلامية ، مثل رياضة الأطفال والغلمان وتعليمهم وتأديبهم ، وهو ضمن موسوعة كبيرة كتبها أبو حامد الغزالى بعنوان : إحياء علوم الدين .

ولابن خلدون كتاب فى رياضة الأطفال وتربيتهم ، ومثل ذلك لسحنون ، وفى كتب الفقه نجد فصولاً وفقرات عن ولادة الصبى وتربيته وكيفية تعليمه ، وتدريبه على الصلاة والصيام والزكاة والحج .. وفى تسوية الصفوف فى صلاة الجماعة يصف الرجال ثم الصبيان ثم النساء .

العناية بتربية البنات

كان العرب كأكثر الناس يكرهون البنات ، وقد شنع القرآن على هذه العادة وبين أن الرزق من عند الله وأن الله يرزق البنت كما يرزق أباه ، وربما رزق الأب من أجل وليدة عنده ، وتوالت الأحاديث الصحيحة توجه المسلمين إلى رعاية الذرية وتحث على إكرام البنات وتربيتهن وتأديبهن ، والمساهمة في تزويجهن ، والإشراف على شؤونهن ، وتحمل مسؤوليتهن ، وإليك طائفة من هذه الأحاديث النبوية الكريمة :

١ - روى البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة قالت : « دخلت على امرأة معها ابنتان لها تسال ، فلم تجد عندي شيئا غير تمر واحدة ، فأعطيتها أياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ علنا فأخبرته ، فقال : من ابتلى من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كن له سترا من النار » وفى لفظ « من ابتلى بشئ من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار » .

٢ - وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت : « جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة تمر ، ورفعت إلى فيها تمر لتأكلها فاستطعمتها ابنتاه ، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال : « إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار » .

٣ - وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه - أى معا . » وفى لفظ الترمذى « من

عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين « وأشار بأصبعيه .
ولأبن حبان في صحيحه ولفظه قال رسول الله ﷺ : « من عال
ابنتين أو ثلاثا أو اختين أو ثلاثا ، حتى يبلغن أو يموت عنهن ،
كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه السبابة
والتي تليها .

٤ - روى ابن ماجة باسناد صحيح ، وابن حبان في
صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الاسناد ، عن ابن عباس قال
قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما
صحبته أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » .

٥ - روى الطبراني عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ
قال « ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى
يبلغن أو يمتن ألا كن له حجابا من النار » فقالت له امرأة أو
بنتان ؟ قال : « أو بنتان » والحديث شواهد كثيرة .

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله
ﷺ : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو
اختان فأحسن صحبتهن وأتقى الله فيهن فله الجنة » . ورواه
أبو داود بلفظ « فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة » ،
ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه .

وفى رواية للترمذى قال رسول الله ﷺ : « لا يكون
لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل
الجنة » .

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بين جبال مكة ووهادها، نزل وحى السماء
على محمد بن عبدالله برسالة الله إلى الخلق
أجمعين:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبَرِ
وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (المدثر : ١ - ٤) وجهر
النبي الأمين بدعوته، وجمع الناس من أهل مكة ووقف بينهم
يقول: (لو أخبرتكم أن خيلا بالبوادي تريد أن تغير عليكم
أكنتم مصدقي؟) قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله الذي لا إله إلا هو
إنى لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس عامة».
وتبع ذلك جهاد فى تبليغ الدعوة والرسالة فى مكة
والمدينة. وكانت الدعوة عامة للرجال والنساء، والعرب والعجم
والأبيض والأحمر.
دعوة لتحرير الانسان من العبودية والذل، وتكريم إنسانية
الانسان.

تكريم الرجل والمرأة. وقد آمن به الرجال والنساء واحتملت
المرأة مع الرجل جانبا من العذاب والهجرة والجهاد والبناء:
ودفعت المرأة ضريبة الايمان من التضحية والفداء والشهادة
وكانت سمية أم عمار بن ياسر أول شهيدة، طعنها اللعين

أبو جهل بحربة فى قلبها فماتت، وفى شأنها وشأن أسرتها قال النبى صلى الله عليه وسلم: (صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة).

واستمرت الدعوة الاسلامية فى طريقها. وهاجر الرجال والنساء إلى الحبشة مرتين كما هاجر الرجال والنساء إلى المدينة المنورة.

وكان الاسلام دعوة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ومنهاجا للحياة الكريمة والعمل النافع والسلوك المستقيم. وعنى الاسلام بشأن المرأة وليدة وناشئة وزوجة وأما. وأثبت حق المرأة فى الميراث، وفى الحياة الكريمة، ورسم لها: مالها وما عليها، وصدق الله العظيم :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (سورة البقرة : ٢٨٨)

فللمرأة حقوق: هى المهر والنفقة والعشرة بالمعروف، وعليها واجبات هى طاعة الزوج والمحافظة على شرفه وماله ورعاية الأسرة، واضفاء لمسة الحنان والحب والوفاء على المنزل، قال ﷺ (ألا أدلكم على خير ما يكتز الرجل فى بيته، امرأة صالحة إذا نظر إليها زوجها سرته وان أمرها إطاعته وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه).

إن هذا الاسلام كان يحمل فكرا جديدا ونورا جديدا وروحا جديدا، كان يحمل فضائل الدنيا، ويرسم الطريق القويم للسلوك الأمثل للرجال والنساء وحين قالت أم سلمة يارسول الله ما بال القرآن يذكر الرجال ولا يذكر النساء أنزل الله تعالى ثلاث آيات جوابا على تساؤل أم سلمة :

الآية الأولى هي الآية ٣٥ من سورة الاحزاب وفيها يقول الحق سبحانه:

﴿ إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ .

والآية الثانية هي الآية ١٩٥ من سورة آل عمران وهي :
﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ .

والآية الثالثة هي الآية ٣٢ من سورة النساء وفيها يقول الحق سبحانه:

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليماً ﴾ .
لقد فتح الاسلام أبواب العلم للرجل والمرأة وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وقد أقبلت النساء فى صدر الاسلام على رواية الحديث اقبالا عظيماً ، حتى أتى ابن سعد فى الجزء الذى عقده من طبقاته لرواية الحديث من النساء على سبعمائة امرأة روين الحديث من رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه. وترجم ابن

حجر فى كتابه (الاصابة فى تمييز الصحابة) لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات، وشهد لهن بالعلم ووثقهن، وقد كتب كثير من العلماء الأوائل عن مركز بعض النساء العلمية كالخطيب البغدادي فى (تاريخ بغداد) والنوى فى (تهذيب الأسماء واللغات) والسخاوى فى (الضوء اللامع)... الخ ونبغ فى التاريخ الإسلامى عالما تلى خلد التاريخ ذكرهن، فكانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عالمة جليلة، تحدث الناس، وتصح للصحابة وتفتيهم، بل وتستدرك على فتاويهم وأقوالهم حتى ألف بدر الدين الزركشى كتابا سماه (الاجابة، لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة^(١)).

المرأة المسلمة عبر العصور الإسلامى

استمرت مسيرة المرأة المسلمة فى طريق التعليم والمعرفة فى سائر العصور الإسلامية، ومن بين اللائى جمع منهن البخارى أحاديثه كريمة الضرورية والتنوخية، ويشير السبكي فى كتابه طبقات الشافعية إلى كثير من النساء اللاتى كن مرجعا له فى معرفة تقاليد النبى وعاداته.

كما أن عدد النساء اللاتى تبخرن فى الميدان اللغوى والأدبى كان كثيرا. ولم تقتصر النساء على الدراسة بل قمن إلى جانبها بالأشغال المتنوعة فكن يشاركن الرجال فى مهن مختلفة كالتدريس والطب. وذكر ابن خلكان أسماء عدة نساء اشتهرت طالبات للعلم ومحاضرات ومن هؤلاء:

١ - أم المؤيد

(١) المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر د. عبدالله شحاته ص ٨١.

٢ - فخر النساء شهدة

٣ - السيدة نفيسة

٤ - مؤنسة الأيوبية

٥ - شامية بنت الحافظ

٦ - زينب بنت عبد اللطيف

٧ - شهدة الكاتبة

٨ - مريم بنت أبى يعقوب الأنصاري

وما لا حظناه فى الجيل الماضى من تخلف المرأة علميا لم يكن الأصل فيه محاربة الاسلام لتعليم المرأة ، وإنما كان مظهرا من مظاهر الجهل الذى عمت آثاره الرجال والنساء على السواء^(١).

ان المرأة حين تعود إلى التعليم فى العصر الحديث فليس ذلك بغريب عن روح دينها ولا عن تراث أسلافها. ونحن نبارك تعليم المرأة ونتمنى أن تحافظ على تقاليدها وقيمها، ونرجو ألا يكون التعليم سبيلا إلى التمرد على القيم والأخلاق الاسلامية بل هو روح جديد يعانق روح القرآن والسنة وهدى الصحابة وسيرة الصحابيات.

وهذا أقدم نماذج مضيئة لصحابيات جليلات كان لهن شرف الصحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتبسن منه الهدى والنور.

لقد كان الرسول الكريم المثل الأعلى ، والنور الهادى والقامة العالية التى حملت وحى السماء وباركت رجال الاسلام ونسائه حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس، وقد استضاء

(١) تطور النظرية التربوية لأستاذ صالح عبدالعزيز بواسطة كتاب المرأة فى التصور الإسلامى للأستاذ عبدالمتعال الجبرى ص ٥٩ - ٦٨.

الجميع بنوره ، وقد أثرت أن أقدم هذه التراجم من كتب التراث مثل طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام وأسد الغابة في معرفة اصحابه لابن الأثير وقد أفرد الجزء السابع للحديث عن صحابييات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١- أسماء بنت عميس

أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عمر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد ابن مالك بن بشر.

وأما هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانية. أسلمت أسماء قديما، وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له بالحبشة عبدالله وعونا ومحمدا، ثم هاجرت إلى المدينة فلما قتل عنها جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها فتزوجها على ابن أبي طالب، فولدت له يحيى، لا خلاف في ذلك.

روى عن أسماء عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابنها عبدالله بن جعفر والقاسم بن محمد، وعبدالله بن شداد، وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم وقال لها عمر بن الخطاب: نعم القوم، لولا أنا سبقناكم إلى الهجرة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بل لكم هجرتان إلى أرض الحبشة وإلى المدينة.

وروى أن أسماء بنت عميس قالت يارسول الله: ان ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقى لهم؟ قال نعم^(١). رواه

(١) تحفة الاحوذى ، أبواب الطب ، باب ما جاء في الرقية من العين، الحديث ٢١٣٦ : ٦

الترمذى وقال حسن صحيح.
والرقيا فى الاسلام تكون بقراءة سورة الفاتحة، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وخواتيم سورة البقرة، وآية الكرسي، وقرأة (باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) و (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير).

٢- أسماء بنت يزيد الأشهلية

أسماء بنت يزيد الأنصارية من بنى عبدالله الأشهل، رسول النساء إلى النبى صلى الله عليه وسلم.
روى عنها مسلم بن عبيد أنها أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت بأبى وأمى أنت يارسول الله، أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبأهلك، وأنا معشر النساء محصورات مقصورات، قوائد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وانكم معشر الرجال - فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل، وان الرجل إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا اثوابكم، وربينا لكم أولادكم. أفما نشارككم فى هذا الأجر والخير، فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قالت: هل سمعتم مقالة امرأة قط، أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه، فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى إلى مثل هذا، فالتفت إليها النبى ﷺ فقال: افهمى أيتها المرأة، وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت المرأة وهى تهلل.

أخرجه الثلاثة : البخارى ومسلم وأبو داود.
 ويفيد هذا الحديث الشريف أن العلاقة بين الرجل والمرأة
 علاقة تكامل لا تماثل فالرجل عليه أعباء مالية واجتماعية،
 والمرأة ميدانها المنزل ورعاية الذرية والاشراف على شئون
 الأسرة. وهى فى هذا الميدان جندى مجهول لا يضع أجره
 ولا ينقص ثوابه عند الله ، ولا غنى للرجل عن المرأة ، ولا
 غنى للبيت عن المرأة ، وهى حين تقوم بواجبها فى منزلها مع
 زوجها وأولادها ترضى ربها وضميرها وأمتها قال ﷺ إذا
 صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحفظت نفسها،
 وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها.

٣- بريرة مولاة عائشة

بريرة مولاة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم،
 كانت مولاة لبعض بنى هلال فاشتريتها عائشة واعتقتها وكان
 اسم زوجها مغيثا وكان مولى فخيرها رسول الله ﷺ
 فاختارت فراقه، وكان يحبها، فكان يمشى فى طريق المدينة
 وهو يبكي، واستشفع إليها برسول الله صلى الله عليه وسلم،
 فقال لها فيه، فقالت: أتأمر؟ قال: بل أشفع، قالت: فلا أريده
 وقد اختلف فى زوجها: هل كان عبداً أو حراً. والصحيح أنه
 كان عبداً.

وعن عائشة أن النبى ﷺ جعل عدة بريرة حين فارقها
 زوجها عدة المطلقة.

وروى عن عبد الملك بن مروان أنه قال: كنت أجالس بريرة
 بالمدينة فكانت تقول لي: يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا،
 وانك لخليق أن تلى هذا الأمر فان وليته فاحذر الدماء فانى

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الرجل ليدفع عن الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجته من دم يريقه من مسلم بغير حق.

روى لها البخارى ومسلم وأبو داود.

وحين اتهمت عائشة فى حديث الافك، وتكلم عنها المنافقون، استشار النبى أصحابه، فقال على أهلك ولا نقول إلا خيرا واسأل الجارية تصدقك فسأل بريرة فقالت والله ما أعلم شيئا يغمطها سوى أنها جارية صغيرة تنام عن العجين فتأتى الدواجن فتأكله.

إن الاسلام كرم انسانية الانسان، واهتم بأمر النساء واليتامى والرقيق فأمر باكرام الرقيق والعبيد، وهذه بريرة كانت رقيقة فكرمها الاسلام، وجعل لها الحق فى اختيار نفسها، وجعلها تجالس الخلفاء وتقترح عليهم العدل وعدم إراقة الدماء، وما رفعها إلى هذه المنزلة إلا الاسلام الذى جعل الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح وصدق الله العظيم ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

٤- جميل بنت يسار

جميل بنت يسار، أخت معقل بن يسار المزنية، امرأة أبى البداح، وقد طلقها أبوالبداح فنزلت فيها الآية ٢٣٢ من سورة البقرة وفيها يقول الله تعالى : ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ .

روى عن الحسن قال، حدثنى معقل بن يسار أن هذه الآية

نزلت فيه، قال: كنت زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له زوجتك وأكرمته وأفرشتك فطلقتها ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعود إليها أبدا، قال: وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية فقلت الآن أفعل يارسول الله فزوجتها إياه.

ونستلهم من قصة جميل، ومن روح القرآن أن الاسلام يكره الطلاق ويحاول أن يعيد الأسرة إلى الوئام والصفاء خصوصا إذا ندم الرجل بعد الطلاق ورغبت المرأة أن تعود اليه فينبغي لولى أمرها ألا يمنعها من العودة إلى زوجها. لقد جعل الله الطلاق ثلاث مرات، لعل الرجل أن يندم بعد الطلقة الأولى أو الثانية ويحاول أن يصلح زوجته، فإذا رضيت الزوجة بالعودة فهي أزكى وأطهر ولعل الله أن يهيئ لهما من أمرهما رشدا.

٥- جويرة بنت الحارث

جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد بن مالك بن جذيمة - وهو المصطلق - بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا.

وعمر هو أبو خزاعة كلها، الخزاعية المصطلقية.

سبأها رسول الله ﷺ يوم المريسيع، وهي غزوة بنى المصطلق سنة خمس، وقيل سنة ست، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلق، فوقع في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له.

عن عائشة رضى الله عنها قالت لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق، وقعت جويرية فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أولا بن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها - قالت عائشة : فو الله ما هو إلا أن رأيته فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت.

فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك ، وقد كاتبت على نفسى ، فأعنى على كتابتى ، فقال رسول الله ﷺ : أو خير من ذلك ، أودى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت نعم ، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان فى أيديهم من بنى المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة، أعظم بركة منها على قومها.

ولما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها، وقسم لها وكان اسمها بره فسمها رسول الله ﷺ جويرية (١).

وعن ابن عباس كان اسم ميمونة بره فسمها رسول الله ﷺ ميمونة روت جويرية الحديث عن النبى ﷺ وروى عنها ابن عباس وجابر، وابن عمر ، وعبيد بن السباق وغيرهم.

وكانت جويرية بنت الحارث قبل السبى عند ابن عم لها يقال له ذى الشفر ثم وقعت فى الاسر فأدى الرسول ﷺ

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٨٤، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الاثير ٧ / ٥٧.

كتابتها وتزوجها بعد زينب بنت جحش، ومات رسول الله ﷺ ولم ينجب منها ولدا^(١).

وكانت عابدة كثيرة الصلاة مر عليها رسول الله ﷺ وهي في مسجد بيتها منقطعة في صلاتها، ثم مر عليها قريبا من نصف النهار فقال لها ما زلت على حالك! قالت نعم قال ألا أعلمك كلمات تقولينها: (سبحان الله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته).

أخرج لها البخاري ومسلم وأبو داود.

لقد تزوج رسول الله ﷺ تسع زوجات وكانت هناك حكمة سامية في زواجه من كل واحدة منهن، كانت عائشة بنت أبي بكر الصديق. وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكان زواجه منهما تكريما لصاحبيه ووزيريه كما كان زواجه من جويرة بنت الحارث رعاية لها وقد وقعت في الأسر وكانت أيمن امرأة على قومها فبعد زواجها مباشرة أعتق الصحابة ماتحت أيديهم من الأسرى من بنى المصطلق حتى لا يسترقوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- حبيبة بنت سهل الأنصارية

حبيبة بنت سهل الأنصارية، أراد رسول الله ﷺ أن يتزوجها ثم تركها، فتزوجها ثابت بن قيس بن شماس، وهي التي اختلعت من زوجها ثابت بن قيس بن شماس. وروى أن التي اختلعت من ثابت بن قيس هي جميلة بنت أبي بن سلول. قال أبو عمر: جائز أن يكون حبيبة وجميلة بنت أبي بن سلول اختلعتا من ثابت.

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٦٤٦ ، وابن اسحاق.

روى الامام أحمد: (أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس ابن شماس فكرهته وكان رجلاً دميماً، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله، انى لأراه ولولا مخافة الله لبزقت فى وجهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أتريدن عليه حديقته التى أصدقك ؟ قالت نعم »

فأرسل إليه فردت عليه حديقته، وفرق بينهما، وكان ذلك أول خلع فى الاسلام.

وروى عن عمرة عن حبيبة أن زوجها ثابت بن قيس كان فى خلقه شدة فضربها، ثم أدى ذلك إلى الخلع. أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود.

ان الاسلام قد جعل الطلاق بيد الرجل، ولكنه أباح للمرأة إذا رأت ان الحياة مع زوجها متعسرة أو مستحيلة أن تطلب الخلع وهو مفارقة الزوج لزوجته على مال تؤديه له جزاء طلاقها، ويكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها. والخلع جائز عند الضرورة وبشرط أن تكون له أسباب جوهرية وهو وسيلة عملية لتخليص المرأة من زواج متعثر لم يحقق أهدافه من المودة والرحمة، وقد ورد فى هدى النبوة تحذير المرأة من طلب الطلاق بدون سبب، لأن كل زواج يحتاج إلى صبر واحتمال وشئ من القناعة، والخلع لا يكون إلا عند الضرورة، عندما تستعصى الحياة الزوجية ولا يستطيع إصلاحها.

٧- حليلة بنت أبى ذؤيب

حليلة بنت أبى ذؤيب واسم أبى ذؤيب: الحارث بن عبدالله بن شجنة بن جابر بن سعد بن بكر بن هوازن. عن ابن اسحاق لما ولد رسول الله ﷺ التمس أمه له

الرضعاء واسترضع له من حليلة بنت أبي ذؤيب. وهى أم رسول الله ﷺ من الرضاعة.

روى عنها عبدالله بن جعفر بن أبى طالب.

عن عبدالله بن جعفر ابن أبى طالب قال، قالت حليلة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ التى أرضعته:

قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء فقدمت على اتان قمرء (١)، كانت أذمت بالركب (أى حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها) ومعى صبي لنا وشارف لنا (٢)، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، وما يجد فى ثديي ما يغنيه، ولا فى شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة فو الله ما علمت منا امرأة ألا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا قيل : يتيم، تركته وقلنا: (ماذا عسى أن تصنع اليناأمه!! إنما نرجو المعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع الينا).

فو الله مابقى من صواحبى امرأة الا وأخذت رضيعا غيري، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى الحارث بن عبدالعزيز: والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه، فقال: لا عليك فذهبت، فأخذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، فأقبل على ثدياي ، بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى روى، وقام صاحبى إلى شارفى تلك فاذا بها حافل، فحلب ما شرب، وشربت حتى رويانا فبتنا بخير ليلة، فقال لى صاحبى: يا حليلة، والله انى لأراك أخذت نسمة مباركة.. الحديث، وذكر فيه من معجزاته ما هو مشهور به ﷺ (٣).

(١) القمرة بضم فسكون بياض فيه كدره.

(٢) الشارف الناقة المسنة.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ١٦٢ - ١٦٥.

وكان ﷺ بالجعرانة^(١) فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه فجلست عليه، وكانت هذه المرأة حليلة السعدية أم النبي التي أرضعته.

وكان اسم زوجها الذي أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبنه الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان بن ناصر بن فصية^(٢) بن نصر بن سعد بن بكر .

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود .

وكانت لرسول الله ﷺ معجزات متعددة ، منها نبع الماء من بين أصابعه ، ومنها تكثير الطعام ببركة دعائه ، ومنها حنين الجذع إليه ، ومنها الإسراء والمعراج ، ومنها عناية الله به فى الهجرة حيث رد عنه الكفار عند الغار حين رأوا أثر العنكبوت .

من رأى العنكبوت يهزم جيشا لا تقبل هاجن ولا سنفردا لو مد سيف نحو رسول الله لأبى السيف نحوه أن يمدا

٨ - حمنة بنت جحش

حمنة بنت جحش بن رباب :

قال أبو عمرو : حمنة بنت جحش ، كانت تستحاض^(٣) هى وأختها أم حبيبة بنت جحش ، وهى أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت حمنة زوج مصعب بن عمير ، فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمدا وعمران ابني طلحة^(٤) .

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة وهى إلى مكة أقرب.

(٢) تصغير فصية

(٣) الاستحاضة أن يستمر بالمرأة خروج الدم بعد أيام حيضتها المعتادة .

(٤) الاستيعاب ٤ - ٨١٣ .

وأما أميمة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ممن قال في الأفك على عائشة رضي الله عنها ، فعلت ذلك حمية لأختها زينب ، إلا أن زينب - رضي الله عنها - لم تقل في الأفك شيئاً ، فقال بعضهم : إن حمنة جلدت مع من جلد وقيل لم يجلد أحد ، وكانت من المهاجرات وشهدت أحداً . فكانت تسقى العطشى ، وتحمل الجرحى وتداويهم ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابنها عمران ابن طلحة .

أخبرنا غير واحد بإسنادهم عن عمران بن طلحة عن أمه حمنة بنت جحش قالت : كنت استحاض حيضة كثيرة شديدة فأتيت النبي ﷺ أستفتيه وأخبره ، فوجدته في بيت أختي زينب ، فقلت يارسول الله ، إنني استحاض حيضة كثيرة شديدة ، فما تأمرني فيها؟ قد منعني الصلاة والصيام ، قال أنعت^(١) لك الكرسف فإنه يذهب الدم . قلت : هو أكثر من ذلك ، قال : فتلجمي^(٢) . قالت : هو أكثر من ذلك . قال : فاتخذى ثوباً . قالت : هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجاً « أى أصب الدم صبا » . أخرجها الثلاثة .

وفى الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال للمستحاضة : صلى وإن قطر الدم على الحصر .
والاستحاضة في اصطلاح الفقهاء : هي ما تراه المرأة من الدم في غير وقت الحيض والنفاس ولا يمكن أن يكون حيضاً ، كالزائد عن أكثر مدة الحيض أو الناقص عن أقله ، وهو في

(١) أي اصف لك الكرسف وهو القطن

(٢) تلجمي : أي شدي اللجام يعني خرقه على هيئة اللجام .

الغالب أصفر بارد رقيق يخرج بفتور على عكس صفات الحيض .

ودم الاستحاضة كر عاف دائم لا يمنع صلاة ولا صوماً .
والمستحاضة ومن به عذر كسلس البول وانطلاق البطن
وانفلات الريح والرعاف الدائم والجرح الذي لا يرقأ يتوضؤون
لوقت كل صلاة ويصلون به ما شأؤوا من الفرائض والنوافل .
والحيض : هو الدم الذي تعتاد المرأة رؤيته في أيام
معلومة « الدورة الشهرية » وأقل مدة الحيض ثلاثة أيام
وأوسطه خمسة وأكثره عشرة .

والنفاس هو الدم الخارج عقب الولادة ، وأكثره أربعون
يوماً ولا حد لأقله .

ويحرم على الحائض والنفساء كل ما يحرم على الجنب من
مس كتابة المصحف والمكث في المسجد ، ولا يقبل منهما
الصوم والصلاة أيام الحيض والنفاس .

وتقضى الحائض والنفساء الصوم ولا تقضيان الصلاة .
ويحرم جماع الحائض والنفساء لقوله تعالى : ﴿ ويسألونك
عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ .
ويباح للرجل أن يستمتع من زوجته الحائض بما شاء عدا
الجماع .

قال ابن عباس رضي الله عنه ، كانت اليهود إذا حاضت
المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، ويعتزلونها جانباً .
فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو
أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ،
فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» وفى لفظ «إلا الجماع». رواه الجماعة إلا البخارى .

٩- خديجة

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الأسدية أم المؤمنين زوج النبى «ص» أول امرأة تزوجها وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة .

مات عنها زوجها أبو هالة ، وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها تضاربهم^(١) إياه بشيء تجعله لهم ، فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مالها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها ، وخرج فى مالها ومعه غلامها ميسره حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ، فاطلع الراهب الى ميسره فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ، قال : هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها واشترى ما أراد ، وربحت تجارتها وعلمت خديجة بأخباره فرغبت فى الزواج منه ، وتم هذا الزواج المبارك الذى كان له أبعد الأثر فى تاريخ الدعوة الإسلامية .

(١) المضاربة : أن تعطى مالا لغيرك يتجر فيه ، فيكون له سهم معلوم فى الربح

عن عائشة رضى الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يعود الى خديجة فيتزود لمثلها ... إلى آخر الحديث .

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس قال خط رسول الله « ص » فى الأرض أربع خطوط قال اتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

روى البخارى ومسلم وأحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما غرت من أحد من أزواج النبى ﷺ ما غرت على خديجة » وعن عائشة أيضاً أنها قالت « كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتنى الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً ، فقد أبدلك الله خيراً منها . فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا ، والله ما أبدلنى الله خيراً منها ، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى وكذبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئة أبداً . وقد رزق رسول الله من خديجة : القاسم وهو أكبر أولاده وعبدالله وكان يقال له الطيب والطاهر وزينب ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ثم رقية .

ونلمح من هذه السيرة العطرة ، شمائل النبوة ، فقد تزوج

النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، وكان عمره الشريف خمساً وعشرين سنة وكان عمرها أربعين سنة، ومكث معها زهرة شبابيه حتى ماتت إلى رحمة الله وعمره الشريف خمسون عاماً، ولم يتزوج عليها في حياتها، ثم تزوج بعد ذلك وعمره قرابة اثنين وخمسين عاماً عائشة وكانت صغيرة، وتزوج بقية زوجاته في العقد الأخير من حياته وكل زوجة منهن كان لزوجها حكمة معينة، وكانت زوجاته أمهات المؤمنين، وحاملات للسيرة الخاصة، وقد أدبهن القرآن أدباً خاصاً؛ وجعل منهن مثلاً أعلى لكل امرأة مسلمة، وفي فترة معينة حرم الله على الرسول زواج أى امرأة بعد ذلك حيث قال سبحانه «لا يحل لك النساء من بعد».

١٠- الخنساء بنت عمرو

هى الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عصبية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمية الشاعرة. قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها فأسلمت معهم فذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدنا ويعجبه شعرها، فكانت تنشده ويقول : هيه يا خناس ، قالوا: وكانت تقول فى أول أمرها البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية - وهو شقيقها - قتله هاشم وزيد المريان ، وقتل صخر وهو أخوها لأبيها، وكان احبهما إليها، وكان حليماً جواداً محبوباً فى العشيرة، طعنه ابو ثور الأسدي، فمرض منها قريباً من سنة، ثم مات فلما مات أكثرت أخته من المراثى فأجادت ، ومن قولها فى صخر أخيها:

أعيني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان جرى الجميل
طويل العماد عظيم الرماد
سأد عشيرته أمردا^(١)
ولها فيه:

أشـم أبـلج^(٢) يأتـم الهداة به
وإن صخرأ لمولانا وسيدنا
هباط أوديعة حمال ألوية
شهاد أندية للجيش جرار^(٣)
وفى الاستيعاب وخزانة الأدب : ان الخنساء شهدت
القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم أول الليل: يا بني،
انكم أسلمتم وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره انكم
لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ماخنت أباكم ولا
فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد
تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب
الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول
الله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ، رابطوا،
واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

فإذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال
عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم
الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطربت لظى على سياقها،
وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها^(٤)، وجالدوا رئيسها،
عند احتدام خميسها^(٥) تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد
والمقامة ، فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدموا فقاتلوا وهم
يرتجزون، أبلوا بلاء حسنا ، واستشهدوا رحمهم الله ، فلما

(١) العماد والعمود الخشبة التي يقوم عليها البيت، والعرب تضع البيت موضع الشرف والنسب والحسب.
(٢) أبـلج : طلق الوجه.
(٣) ديوان الخنساء ٤٨ . (٤) الوطيس : شبه الثنور، أي اقصدا أشد أماكن القتال.
(٥) الخميس : الجيش.

بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .
وكان عمر رضى الله عنه ، يعطى الخنساء أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضى الله عنه .

١١ - خولة بنت ثعلبة

خولت بنت مالك بن ثعلبة بن أسرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف . عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : حدثتني خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت ، أختي عبادة بن الصامت قالت : فى والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل صدر سورة « المجادلة » قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر ، وقالت : فدخل على يوماً فراجعته فى شئ فغضب وقال : « انت على كظهر أمى » ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ، ثم دخل على فإذا هو يريدنى على نفسى . فقلت : كلا ، والذى نفس خولة بيده لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ^(١) بحكمه ، قالت : فوائبنى وامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عنى . قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثيابها ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا خولة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه . قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فى القرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان

(١) فى المسند (فيما بحكمه) .

يتغشاه ، ثم سرى عنه فقال : يا خولة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك . ثم قرأ على : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله » .. الآيات ، إلى قوله : « وللكافرين عذاب أليم » قالت : فقال رسول الله ﷺ مريه فليعتق رقبة . قالت : فقلت : والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق . قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقلت : والله انه شيخ كبير ، مابه من صيام . قال : فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر (١) . قالت فقلت : يا رسول الله ، ماذا عنده ! قالت : فقال رسول الله ﷺ : فانا سنعيّنه بعرق (٢) من تمر . قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعيّنه بعرق آخر . قال : فقد أصبت وأحسن ، فاذهبي فتصدقى به عنه ثم استوصى بآبن عمك خيرا . قالت : ففعلت (٣) .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خرج ومعه الناس ، فمر بعجوز فجعل يحدثها وتحدثه ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز ؟ قال : ويلك ! تدرى من هذه ؟ هي امرأة سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ . والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ، ثم أرجع .

١٢ - الربيع بنت النضر

الربيع - تصغير الربيع أيضاً - هي بنت النضر ، وهي

(١) الوسق : ستون صاعاً .

(٢) العرق : هو زنبيل منسوج من نسائج الخوص ، وكل شئ مضفور فهو عرق وعرقه بفتح الراء فيهما .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤١٠/٦ .

أنصارية من بنى عدى ابن النجار ، وهى أم حارثة بن سراقه الذى استشهد بين يدى رسول الله ﷺ ببدر ، فأتت أمه الربيع رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله أخبرنى عن حارثة فان كان فى الجنة صبرت واحتسبت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت فى البكاء فقال : إنها جنات ، وأنه أصاب الفردوس الأعلى^(١)

وهذه الربيع هى التى كسرت ثنية امرأة ، فعرضوا عليهم الأرض^(٢) فآبوا وطلبوا العفو فآبوا وأتو النبى ﷺ فأمرو النبى ﷺ بالقصاص فقام أخوها أنس بن النضر فقال : يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فعفا القوم بعد أن كانوا أمتنعوا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » وقد قيل : إن التى فعلت ذلك كانت أخت الربيع .

حدثنا ثابت ، عن أنس أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنسانا ، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : القصاص . فقالت أم الربيع : يا رسول الله ، أيقص من فلانة ! والله لا يقص منها أبدا . فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله يا أم الربيع ! القصاص كتاب الله . قالت : والله لا يتقص منها أبدا . فما زالت حتى قبلوا ، فقال رسول الله ﷺ : من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره^(٣) .

١٣ - رقيقة بنت صيفى

رقيقة بنت صيفى بن هاشم بن عبد مناف .
أوردها الطبرانى وجعفر المستغفرى فى الصحابييات ، وقال

(١) الاستيعاب : ١٨٣٨/٤ .

(٢) الأرض : الدية .

(٣) مسلم : كتاب القامة ، باب (إثبات القصاص فى الأسنان وما فى معناها) ، ١٠٥/٥ .

أبو نعيم : لا أراها أدركت البعثة والدعوة .

أخبرنا مخزومة بن نوفل عن أمه رقيقة - قال : وكانت لدة^(١) عبد المطلب بن هاشم - قالت : تتابعنا على قریش سنون أقحلت الضرع ، وأدقت العظم ، فبينما أنا راقدة - اللهم أو مهمومة - إذ أنا بهاتف يصرخ بصوت صحل^(٢) يقول : يا معشر قریش ، إن هذا النبی مبعوث ، قد أظلتكم أيامه ، وهذا ابان نجومه ، فحي هلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا ، عظاما جساما ، أبيض بضاً ، أوطف الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العرنين ، له فخر يكظم عليه ، وسنه تهدى إليه ، فليخلص هو ووالده ، وليهيظ إليه من كل بطن رجل فليشتنوا من الماء ، ولیمسوا من الطيب ، وليستلموا الركن ، ثم ليرقوا أبا قبيس ، ثم ليدع الرجل ، وليؤمن القوم فغثتم ما شئتم . فأصبحت - علم الله - مذعورة ، اقشعر جلدي ، ودله عقلي^(٣) ، واقتصصت رؤيائي ، ونمت في شعاب مكة ، فو الحرمة والحرم ما بقى بها أبطحى إلا قال : هذا شبيه الحمد . وتناهت إليه رجالات قریش وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشنوا ومسوا واستلموا ، ثم ارتقوا أباقيس واصطفوا حوله ما يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استنوا بذروة الجبل ، فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام قد أيقع ، أو كرب ، فرفع يديه فقال : اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة ، أنت معلم غير معلم ، ومستئول غير مبخل ، وهذه عبدك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف والظلف ، اللهم

(١) سيأتي في نهاية الترجمة شرح ابن الأثير لغريب هذا الحديث ، ونشرح ما أغفله .

(٢) أي : فيه بحة .

(٣) أي : تحير .

فأمطر علينا مغدقا مرتعا . فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء ما فيها ، واكتظ الوادى بشجيجه ، فسمعت شيخان قريش وجلتها : عبد الله بن جدعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب : هنيئاً لك أبا البطحاء ، أى عاش بك أهل البطحاء . وفى ذلك تقول رقيقة :

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر
فجاد بالماء جوى له سبل سحا، فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به مافى الأنام له عدم ولا خطر
أخرجه أبو نعيم وأبو موسى ، وقال أبو موسى : هذا حديث حسن عال ، فى هذا الحديث غريب نشرحه مختصرا .

قوله : لدة عبد المطلب ، أى : على سنة . وأقحلت : أبيضت . وأدقت العظم ، أى : جعلته ضعيفا من الجهد ، وروى : أرقى ، بالراء . والتهويم أول النوم ، والإبان : الوقت . وحى هلا كلمة تعجيل . والحيا - مقصور - المطر والخصب ، أى : أتاكم المطر والخصب عاجلا . والوسيط : النسب . والعظام - بضم العين - : أبلغ من العظيم ، وكذلك الجسام أبلغ من الجسيم . والبض : الرقيق البشرة . والأوظف : الطويل ، والأشم : المرتفع . وقوله : له فخر يكظم عليه ، أى : يخفيه ولا يقاخر به . والسنة : الطريقة وتهدى إليه ، أى : تدل الناس عليه . فليشئوا - بالسين والشين - أى : فليصبوا ومعناه : فليغتسلوا . فغثتم ، أى : أتاكم الغيث والغوث . ونمت : أى : فشت وشبية الحمد : لقب عبد المطلب ، وتناهى إليه - وفى رواية - : تنامت إليه ومعناها واحد ، أى : جاءوا كلهم ، ويعنى بقوله : رجالات

قريش : رؤساؤهم . ومهله : سكونه^(١) .
 وقوله : كرب ، أى : قرب . والخلة : الحاجة . والعبدى -
 مقصور - : العباد والعذرات : الأفنية . والسنة : القحط
 والشدة . ويعنى بالظلف والخف : الغنم والأبل والمغدق :
 الكثير . ومرتعا : أى ترتع فيه الدواب : واكتظ : أى ازدحم
 والشجيج : سيلان كثرة الماء . والشيخان : المشايخ . والجلة :
 ذنوب الأقدار . اجلوذ أى : تأخر . والجونى : السحاب الأسود .
 وسحا أى : منصبا .

١٤ - رقية بنت رسول صلى الله عليه وسلم

رقية بنت رسول الله ﷺ أمها خديجة بنت خويلد رضى الله
 عنهما .

روى الزبير بن بكار ، عن عمه مصعب بن عبد الله أن
 خديجة ولدت لرسول الله ﷺ فاطمة ، وزينب ، ورقية ،
 وأم كلثوم^(٢) .

وروى أيضاً عن ابن لهيعة ، عن أبى الأسود أن خديجة
 ولدت للنبي ﷺ زينب ، ورقية ، وفاطمة ، وأم كلثوم .

وروى محمد بن فضالة قال : سمعت أن خديجة ولدت
 للنبي ﷺ زينب ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ورقية . وقيل أن
 فاطمة أصغرهن عليهن السلام .

وقال أبو عمر : لا أعلم خلافاً أن زينب أكبر بنات رسول الله
 ﷺ واختلف فيمن بعدها^(٣) .

وكان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته رقية من عتبة بن

(١) كذا ، وفى النهاية « ما يبلغ سعيهم مهلة : أى ما يبلغ إسرارهم إبطاء » .

(٢) انظر كتاب نسب قريش : لمصعب : ٢١ .

(٣) الاستيعاب : ٤ / ١٨٣٩ .

أبى لهب ، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبى لهب ، فلما نزلت سورة (تبت) قال لهما أبوهما أبو لهب ، وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب : « فارقا ابنتى »^(١) محمد ففارقاهما قبل أن يدخلها بهما كرامة من الله تعالى لهما وهوانا لابنى أبى لهب ، فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، وولدت له هناك ولدا ، فسماه عبدالله . وكان عثمان يكنى به ، فبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك ، فورم وجهه ومرض ومات ، وكان موته فى جمادى الأول سنة أربع ، وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل أبوه عثمان فى حفرة .

وقال قتادة : « إن رقية لم تلد من عثمان ولدا » . وهذا ليس بصحيح ، إنما أختها أم كلثوم لم تلد من عثمان ، وكان تزوجها بعد رقية ، وهذا يدل على أن رقية أكبر من أم كلثوم ، ولما سار رسول الله ﷺ إلى بدر كانت ابنته رقية مريضة فتخلف عليها عثمان بأمر رسول الله ﷺ له بذلك ، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشرا بظفر رسول الله ﷺ بالمشركين ، وكانت قد أصابتها الحصبة ، فماتت بها . وقيل : ماتت قبل وصول زيد ، ودفنت عند ورود زيد فبينما هم يدفنونها سمع الناس التكبير ، فقال عثمان : ما هذا التكبير ؟ فنظروا فإذا زيد على ناقه رسول الله ﷺ الجداء بشيرا بقتلى بدر والغنيمة ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه وأجره ، لاختلاف بين أهل السير فى ذلك .

وقال قتادة : حدثنى النضر بين أنس ، عن أبيه أنس قال : خرج عثمان مهاجرا إلى أرض الحبشة ، ومعه زوجته رقية

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بنت رسول الله ، فاحتبس خبرهم عن النبي ﷺ ، فكان يخرج فيسأل عن أخبارهما ، فجاءته امرأة فأخبرته أنها رأتهما ، فقال النبي ﷺ : صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام . (أخرجها الثلاثة)

١٥ - رمة بنت أبي سفيان

رمة بنت أبي سفيان صحر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أم حبيبة القرشية الأموية أم المؤمنين ، زوج رسول الله ﷺ ورضى عنها . وأمها صفية بنت أبي العاص ^(١) عمة عثمان بن عفان بن أبي العاص . قيل : اسمها رمة . وقيل : هند . أسلمت قديما بمكة ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله ^(٢) بن جحش ، فتنصر بالحبشة . ومات بها ، وأبت هي أن تتنصر ، وثبتت على إسلامها ، فتزوجها رسول الله ﷺ وهي بالحبشة ، زوجها منها عثمان بن عفان ، وقيل : عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وأمهرها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمئة دينار ، وأولم عليها عثمان لحما . وقيل : أولم عليها النجاشي ، وحملها شر حبيب ابن حسنة إلى المدينة . وقد قيل : إن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بالمدينة .

روى مسلم بن الحجاج في صحيحه : أن أبا سفيان طلب من النبي ﷺ أن يتزوجها فاجابه إلى ذلك ^(٣) . وهذا مما يعد من أوهام مسلم ، لأن رسول الله ﷺ كان قد تزوجها وهي

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري : ١٢٤ وجمهرة انساب العرب : ١١١ .
(٢) في بعض الكتب اسمه : (عبدالله) والمثبت عن كتاب نسب قريش : ١٢٣ وطبقات ابن سعد : ٦٨/٨ ، وجمهرة انساب العرب : ١٩١ .
(٣) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب (من فضائل أبي سفيان بن حرب رضى الله عنه) ١٧١/٧ .

بالحبشة قبل اسلام أبى سفيان ، لم يختلف أهل السير فى ذلك . ولما جاء أبو سفيان إلى المدينة قبل الفتح ، لما أوقعت قريش بخزاعة ، ونقضوا عهد رسول الله ﷺ فخاف ، ف جاء إلى المدينة ليجدد العهد ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلم تتركه يجلس على فراش رسول الله ﷺ وقالت : أنت مشرك .

وقال قتادة : لما عادت من الحبشة مهاجرة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها وكذلك روى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب . وروى معمر ، عن الزهري : أن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بالحبشة . وهو أصح . ولما بلغ الخبر إلى أبى سفيان أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته قال : « ذلك الفحل ، لا يقدر أنفه ! » (١) .

وتزوجها رسول الله ﷺ سنة ست ، وتوفيت سنة أربع وأربعين . وقيل : أن رسول الله ﷺ أرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطب أم حبيبة ، فزوجها إياه (٢) .

وروى الزبير بن بكار قال : حدثنى محمد بن الحسن ، عن عبدالله بن عمرو بن زهير ، عن اسماعيل بن عمرو : أن أم حبيبة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية ، فاستأذنت فأذنت لها فقالت : إن الملك يقول لك : أن رسول الله ﷺ كتب إلى أزوجك ، فقلت : بشرك الله بخير . فقالت : يقول الملك : وكلى من يزوجك . فأرسلت إلى خالد بن سعيد ، فوكلته ، فأمر النجاشي جعفر بن أبى طالب . ومن هناك من المسلمين يحضرون وخطب النجاشي وقال :

(١) أى : أنه كلف كريم لا يرد . ويروى : (لا يقرع) بالراء ، انظر : النهاية لابن الاثير وطبقات ابن سعد : ٧٠ / ٨ .
(٢) طبقات ابن سعد : ٧٠ / ٨ .

« إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة ، فبارك الله لرسوله » ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد (١) .

وروت عن النبي ﷺ ، وروى عنها أخوها معاوية بن أبي سفيان ، وكان سألها : هل كان النبي ﷺ يصلى فى الثوب الذى يجمع فيه ؟ قالت : نعم ، إذا لم ير فيه أذى . وروى عنها غيره (٢) .

أخبرنا ابراهيم بن محمد وغيره ، قالوا باسنادهم عن أبى عيسى الترمذى حدثنا على بن حجر ، أخبرنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عبد الله الشعثى ، عن أبيه ، عن عنبسة بن أبى سفيان ، عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى قبل الظهر أربعاً وبعده أربعاً ، حرمه الله عز وجل على النار (٣) .

١٦ - زينب بنت جحش

زينب بنت جحش ، زوج النبي ﷺ ، أخت عبد الله بن جحش ، وهى أسدية من أسد بن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، عمة النبي ﷺ وتكنى أم الحكم .

وكانت قديمة الاسلام ، ومن المهاجرات ، وكان زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ قد تزوجها ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله ، ثم أن الله تعالى زوجها النبي ﷺ من السماء ، وانزل الله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه :

(١) أخرجه ابن سعد عن طريق عبد الله بن عمرو بن زهير ، انظر الطبقات . ٦٨/٨ - ٦٩ .

(٢) مسند الامام احمد : ٦-٣٢٥ ، ٤٢٦/٤٢٧ .

(٣) تحفة الاحوذى ، ابواب الصلاة : ٢/٥٠٠ - ٥٠٢ .

أمسك عليك زوجك ، و اتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم ﴿١﴾... الآية . فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة ، قاله أبو عبيدة . وقال قتادة سنة خمس . وقال ابن اسحاق : تزوجها رسول الله ﷺ بعد أم سلمة .

عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذكرنى لها . قال زيد : فلما قال لى رسول الله ﷺ ذلك ، عظمت فى عيني ، فذهبت إليها ، فجعلت ظهرى إلى الباب ، فقلت : يا زينب ، بعث بى رسول الله ﷺ يذكرك ؟ فقالت : ما كنت لأحدث شيئا حتى أوامر ربه عز وجل . فقامت إلى مسجدها ، وأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم ﴾ فجعل رسول الله ﷺ يدخل عليها بغير إذن (٢) .

عن أنس بن مالك قال : كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبى ﷺ وتقول زوجنى الله من السماء ، وأولم عليها رسول الله ﷺ بخبز ولحم (٣) .

وكانت زينب كثيرة الخير والصدقة ، ولما دخلت على رسول الله ﷺ كان اسمها برة فسمها زينب . وتكلم المنافقون فى ذلك وقالوا : إن محمدا يحرم نساء الأولاد . وقد تزوج امرأة ابنه زيد ، لأنه كان يقال له « زيد بن محمد » ، قال الله تعالى : ﴿ ما كان محمدا أبأ أحد من رجالكم ﴾ (٤) وقال :

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ .

(٢) أخرجه ابن سعد فى طبقاته من طريق سليمان بن المغيرة ، انظر : ٤٧٣/٨ .

(٣) أخرجه ابن سعد أيضا فى طبقاته عن طريق عيسى بن طهمان ، انظر : ٧٥/٨ .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٤٠ .

﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ ^(١) . فكان يدعى « زيد ابن حارثة » وهجرها رسول الله ﷺ وغضب عليها لما قالت لصفية بنت حي : « تلك اليهودية » فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ، وعاد إلى ما كان عليه . وقيل : إن التي قالت لها ذلك حفصة .

وقالت عائشة : لم تكن أحد من نساء النبي ﷺ تساميني في حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش : وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : إن آباء كن انكحوكن ^(٢) وإن الله انكحنى إياه .

وبسببها أنزل الحجاب ، وكانت امرأة صناع اليد ، تعمل بيدها وتصدق به في سبيل الله .

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال للنساء عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر ^(٣) . قال : فكن كلهن يحججن إلا سودة وزينب بنت جحش ، فانهما كانتا يقولان : والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله ﷺ .

عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا . قالت فكنا نتطاول أينا أطول يدا قالت : فكانت زينب أطولنا يدا لأنها كانت تعمل بيدها ، وتتصدق ^(٤) .

وقالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من

(١) سورة الأحزاب آية ٥ . (٢) في بعض الكتب : (انكحن) . والمراد زوجوك .
(٣) أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن أبي ذئب ، بنحوه . انظر المسند : ٢ / ٤٤٦ والحصر - بضم فسكون - جمع الحصر الذي ييسط في البيوت ، والمعنى : لا تخرجن من بيوتكن بع هذه والرمن الحصر .
(٤) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب (من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها) ١٤٤/٧ .

زينب ، وأتقى الله ، وأصدق حديثا وأوصل للرحم ، وأعظم
أمانة وصدقة .

وروى شهر بن حوشب ، عن عبدالله بن شداد أن رسول الله
ﷺ قال لعمر بن الخطاب : إن زينب بنت جحش لأواهة . فقال
رجل : يا رسول الله ، ما الأواه ؟ قال : المتخضع المتضرع .
وكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقا به كما أخبر
رسول الله ﷺ وتوفيت سنة عشرين أرسل عمر بن الخطاب
اثني عشر ألف درهم ، كما فرض لنساء النبي ﷺ ، فأخذتها
وفرقتها في نوى قرابتها وأيتامها ، ثم قالت : اللهم لا يدركني
عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا ! فماتت . وصلى عليها عمر بن
الخطاب ، ودخل قبرها أسامة بن زيد ، ومحمد بن عبد الله بن
جحش وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش قيل : هي أول امرأة
صنع لها النعش . ودفنت بالبقيع ^(١) . (أخرجها الثلاثة)

١٧ - زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت رسول الله ﷺ . هي أكبر بناته ، ولدت ولرسول
الله ﷺ ثلاثون سنة ، وماتت سنة ثمان من الهجرة في حياة
رسول الله ﷺ ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسلم . وقد شذ
من لا اعتبار به أنها لم تكن أكبر بناته ، وليس بشيء ، إنما
الاختلاف بين القاسم وزينب : أيهما ولد قبل الآخر ؟ فقال
بعض العلماء بالنسب : أول ولد له القاسم ، ثم زينب ،
وقال ابن الكلبي : زينب ثم القاسم . وهاجرت بعد بدر ،
وكانت زينب قد تزوجت في مكة من أبي العاص بن الربيع .

(١) انظر طبقات ابن سعد : ٨١ / ٨ .

وولدت منه غلاما اسمه على ، فتوفى وقد ناهز الاحتلام ، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الفتح ، وولدت له أيضا بنتا اسمها أمامة ، ولم يبادر زوج زينب إلى الإسلام بل أسلم في وقت متأخر .

عن عائشة - رضی الله عنها - قالت : وكان الإسلام قد فرق بين زينب وبين أبي العاص حين أسلمت ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرق بينها ، وكان رسول الله ﷺ مغلوبا بمكة ، لا يحل ولا يحرم^(١) .

قيل : أن أبا العاص لما أسلم رد عليه رسول الله ﷺ زينب ، فقيل : بالنكاح الأول . وقيل : ردها بنكاح جديد .

عن ابن عباس : أن النبي ﷺ رد زينب على أبي العاص بعد سنين بالنكاح الأول ، لم يحدث صداقا .

قال : وحدثنا الدولابي ، حدثنا ابراهيم بن يعقوب ، أخبرنا يزيد بن هارون عن الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله ﷺ رد زينب على أبي العاص بمهر جديد ونكاح جديد .

وتوفيت زينب بالمدينة في السنة الثامنة ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها وهو مهموم ومحزون ، فلما خرج سرى عنه وقال : « كنت ذكرت زينب وضعفها فسألت الله تعالى أن يخفف عنها ضيق القبر وغمه ، ففعل وهون عليها » . ثم توفي زوجها أبو العاص . (أخرجها الثلاثة)

(١) سيرة ابن هشام : ٦٥٢/١ .

١٨ - سفانة بنت حاتم

سفانة بنت حاتم الطائي . كان أبوها حاتم يكنى أبا سفانة . أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس ، عن محمد بن اسحاق قال : أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبأيا طيئ ، فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد ، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه - وكانت امرأة جزلة - فقالت : يا رسول الله . هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن على من الله عليك . قال : من وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى مر بي ثلاثا فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكمليه . فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن على من الله عليك . قال : قد فعلت ، فلا تعجلي حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ، ثم آذنيني فسألت عن الرجل الذي أشار إلى ، فقيل : على بن أبي طالب . وقدم ركب من بلادى ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : قدم رهط من قومي . قالت : فكساني رسول الله ﷺ وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت حتى قدمت الشام على أخى عدى بن حاتم ، فقلا لها عدى : ما ترى فى أمر هذا الرجل . قالت : أرى أن تلحق ^(١) به ، فقد رأيت هدفا ورأيا ، سيغلب أهل الغلبة ، رأيت يهيب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، وإنه لنبي ، فللسابق إليه فضله ، فأضفى « عدى » إلى رأى أخته ، وقدم على رسول الله مسلماً ، ومعه أخته مسلمة أيضاً .

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٥٧٩/٢ - ٥٨٠ .

١٩ - سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلمى خادم النبي ﷺ وهى مولاة صفية بنت عبد المطلب ، وهى امرأة أبى رافع ويقال : أنها أيضاً مولاة للنبي . وكانت قابلة بنى فاطمة بنت رسول الله ﷺ وقابلة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى غسلت فاطمة مع زوجها على ومع اسماء بنت عميس . وشهدت خبير مع رسول الله ﷺ ومن حديثها ما أخبرنا به اسماعيل بن على وابراهيم بن محمد وغيرهما ، قالوا بإسنادهم عن أبى عيسى قال : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، أخبرنا قائد مولى لآل أبى رافع ، عن على بن عبيد الله ، عن جدته - وكانت تخدم النبي ﷺ - قالت : ما كان يكون برسول الله ﷺ فرحة أو نكبة ^(١) إلا أمرنى أن أضع عليها الحناء . وقد روى هذا عن عبيد الله بن على . عن جدته سلمى ، قال الترمذى : عبيد الله بن على أصح ^(٢) .

عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : جاءت سلمى امرأة ^(٣) أبى رافع مولى النبي ﷺ تستأذنه على أبى رافع ، وقالت : إنه يضربنى فقال النبي ﷺ لأبى رافع : مالك ولها يا أبا رافع ؟ فقال : تؤذيني يا رسول الله قال : بم أذيتك يا سلمى ؟ قالت : يا رسول الله ما أذيتك بشئ ، ولكنه أحدث وهو يصلى ، فقلت له : يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد

(١) فى بعض الكتب (نكبة) بالناء والصواب عن تحفة الأحوذى (النكبة) وهى ما يصيب الإنسان من الحوادث .

(٢) تحفة الأحوذى باب ما جاء فى التداوى بالحناء : ٢١٢-٦ ، ٢١٣ .

(٣) فى المسند : (مولاة رسول الله - ﷺ - أو امرأة أبى رافع) .

أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ . فقام يضربنى ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول : يا أبا رافع أنها لم تأمرك إلا بخير ، وقال : لا تضربها ^(١) . (أخرجها الثلاثة)

٢٠ - سمية أم عمار

سمية أم عمار بن ياسر . وهى سمية بنت خباب . كانت أمه لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ، وكان ياسر حليفا لأبى حذيفة ، فزوجه سمية ، فولدت له عمار ، فأعتقه أبو حذيفة . وكانت من السابقين إلى الإسلام ، قيل : كانت سابع سبعة فى الإسلام ، وكانت ممن يعذب فى الله عز وجل أشد العذاب .

أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس بن بكير ، عن ابن اسحاق قال : حدثنى رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام ، وهى تأبى غيره ، حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبونه بالابطح فى رمضان مكة ، فيقول : صبرا آل ياسر موعدكم الجنة .

وروى أن أبا جهل طعنها فى قلبها بحربة فى يده فقتلها ، فهى أول شهيد فى الإسلام ، وكان قتلها قبل الهجرة ، وكانت ممن أظهر الإسلام بمكة فى أول الإسلام .

قال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية . فأما رسول الله ﷺ وأبو بكر فمنعهما قومهما ، وأما الآخرون فالبسوا أدراع الحديد ثم صهروا فى الشمس ، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها .

(١) مسند الإمام أحمد : ٦ / ٢٧٢ .

وقال ابن قتيبة أن سمية خلف عليها بعد ياسر الأزرق ، وكان غلاما روميا للحارث بن كعدة النقفى ، فولدت له سلمة ، فهو أخو عمار لأمه (١) .

وهذا وهم منه فاحش ، فإن الأزرق إنما خلف على سمية أم زياد ، فسلمة ابن الأزرق أخو زياد لأمه ، اشتبه على ابن قتيبة سمية أم زياد بسمية أم عمار ، والله أعلم (٢) .

٢١ - سودة بنت زمعة

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشية العامرية . وأما الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لييد بن خدّاش (٣) بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الانصارية .

وسودة هي زوج النبی ﷺ ، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة ، قاله عقيل عن الزهري ، وقاله قتادة وأبو عبيدة ، وابن اسحاق .

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : تزوجها بعد عائشة . ورواه يونس عن الزهري . وكانت قبله تحت ابن عمها السكران بن عمرو ، أخى سهيل بن عمرو ، من بنى عامر بن لؤى ، وكان مسلما فتوفى عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ . وكانت امرأة ثقيلة ثبطة (٤) وأسنت عند رسول الله ﷺ ولم تصب منه ولدا إلى أن مات .

(١) المعارف لابن قتيبة : ٢٥٦ .

(٢) نبه أبو عمر في الاستيعاب على هذا الخطأ . انشر : ١٨٦٣/٤ - ١٨٦٤ .

(٣) في بعض الكتب (خراش) والمثبت عن جمهرة انساب العرب لابن حزم : ١٦٧ واحد في نسخ الاستيعاب ٤ - ١٨٦٧ وطبقات ابن سعد : ٨ - ٣٦ وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيري : ٤٢٢ .

(٤) ثبطة : ثقلة .

وروى محمد بن اسحاق ، عن حكيم بن حكيم ، عن محمد ابن علي بن الحسين ، عن أبيه قال : كان جميع ما تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة ، وكان أول امرأة تزوجها بعد خديجة بنت خويلد سودة بنت زمعة .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن محمد بن عيسى .

عن ابن عباس قال : خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت : لا تطلقني وأمسكني ، وأجعل يومي لعائشة ، ففعل ، فنزلت : ﴿ فلا جناح عليهما أن يصالحا ﴾^(١) بينهما صلحا ، والصلح خير ﴿ فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز ﴾^(٢) .

عن سودة بنت زمعة قالت : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحج ؟ قال : أ رأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منك ؟ قال : نعم . قال : فالله أرحم ، حج عن أبيك^(٣) .

وتوفيت سودة آخر خلافة عمر . (أخرجها الثلاثة)

٢٢ - سيرين أخت مارية القبطية

سيرين ، أخت مارية القبطية .

أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية إلى النبي ﷺ فتسرى النبي مارية ، وهى أم أبنة ابراهيم عليه السلام . وهب سيرين لحسان بن ثابت ، فهى أم ابنة عبد الرحمن بن حسان . روى عنها ابنها عبد الرحمن . أنها قالت : حضر ابراهيم ابن النبي ﷺ الموت فرأيت رسول الله ﷺ كلما صحت أنا

(١) هذه قراءة ثابتة في السبعة ، انظر البحر المحيط : ٣ - ٣٦٣ .

(٢) تحفة الاحوذى ، تفسير سورة النساء : ٨ - ٤٠٣ - ٤٠٥ وقال القرمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » . وانظر تفسير ابن كثير ، عند الآية ١٢٨ من سورة النساء ٢ - ٣٧٨ . (٣) مسند الإمام زحيد : ٦ - ٤٢٩ .

وأختي ، نهانا عن الصياح ، وغسله الفضل بن العباس ،
ورسول الله والعباس على سرير ، ثم حمل فرأيته جالسا على
شفير القبر ، ونزل في قبره الفضل والعباس وأسامه وكسفت
الشمس يومئذ ، فقال الناس : كسفت لموت ابراهيم ! فقال
رسول الله ﷺ : لا تكسف لموت أحد ولا لحياته . ورأى رسول
الله ﷺ فرجة في قبر ابراهيم فأمر بها فسدت ، وقال : أنها
لا تضر ولا تنفع ، ولكن تقر عين الحي ، وأن العبد إذا عمل
شيئا أحب الله منه أن يتقنه . (أخرجها الثالثة)

٢٣ - الشفاء بنت عبد الله

الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن سداد بن
عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي القرشية
العدوية أم سليمان بن أبي حثمة . قيل : أسماها ليلي .
أسلمت قديما ، وهى من المبايعات ، ومن المهاجرات الأول .
وأما فاطمة بنت أبي وهب^(١) بن عمرو بن عائذ بن عمر بن
مخزوم . وكانت من عقلاء النساء وفضالتهن ، وكان رسول
الله ﷺ يقيل عندها . واتخذت له فراشا وازاراً ينام فيه ، فلم
يزل كذلك عندها حتى أخذه منهم مروان . وكان ترقى من
النملة . فأمرها رسول الله ﷺ أن تعلمها حفصة . وأقطعها
رسول الله ﷺ داراً عند الحكاكين ، فنزلتها مع ابنها سليمان .
وكان عمر رضى الله عنه يقدمها فى الراى ويرضاها .
روى عنها أبو بكر وعثمان ابنا سليمان بن أبي حثمة .
أخبرنا أبو ياسر بإسناده عن عبد الله بن أحمد عن الشفاء

(١) فى طبقات ابن سعد ٨ - ١٩٦ : (بنت وهب) والصواب ما هنا . انظر كتاب نسب
قريش لمصعب : ٣٦٨ .

بنت عبد الله - وكانت امرأة من المهاجرات - قالت : « إن رسول الله ﷺ سل عن أفضل الأعمال فقال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله ، وحج مبرور » (١) .

وروى الأوزاعي ، عن الزهري ، عن أم سلمة و عن الشفاء بنت عبد الله قالت أتيت رسول الله ﷺ أسأله ، فجعل يعتذر إلى وأنا ألومه ، قالت : فحضرت الصلاة فخرجت فدخلت على ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة ، فوجدت شرحبيل في البيت وأقول : قد حضرت الصلاة وأنت في البيت ! وجعلت ألومه ، فقال : يا خاله ، لا تلوميني ، فإنه كان لنا ثوب ، فاستعاره رسول الله ﷺ فقلت : بأبي وأمي أنى كنت ألومه وهذه حاله ولا أشعر ! قال شرحبيل : ما كان إلا درعا رقعناه (٢) .

وروى عثمان بن سليمان بن أبي حثمة ، عن الشفاء بنت عبد الله أنها كانت ترقى في الجاهلية ، وأنها لما هاجرت إلى النبي ﷺ - وكانت قد بايعته بمكة قبل أن يخرج - فقدمت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، انى كنت أرقى برقى في الجاهلية ، وأنى أردت أن أعرضها عليك . قال فأعرضيها ، فعرضتها - وكانت منها رقية النملة - فقال : أرقى بها ، وعلميها حفصة ، باسم الله صلوا صلب جبر تعودا (٣) من أقواهاها ، فلا تضر أحدا ، اللهم اكشف البأس رب الناس . قال : ترقى بها على عود كركم (٤) سبع مرار وتضعه مكانا نظيفا ، ثم تدلكه على

(١) مسند الإمام أحمد : ٦ - ٣٧٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم ، انظر الاصابة : ٤ - ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٣) كذا ومثله في الاستيعاب : ٤ - ١٨٦٩ ، ولا ندري ما معناه . وفي المصورة :

«صلق صلب حبر» وعلى هامشها (خلصوا) . اهـ نقلنا عن أسد الغابة - مطابع دار الشعب .

(٤) الكركم : الزعفران .

حجر بخل خمر ثقيف ، وتطلبه على النملة . (أخرجها الثلاثة)
وقد ثبت في كتب السنة أنه ﷺ كان يرقى المريض بآيات
من القرآن . ومن ذلك سورة الفاتحة ، وقل هو الله أحد وقل
أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، والآيتان الأخيرتان
من سورة البقرة ، والآيات الأخيرة من سورة الحشر . وقوله
تعالى : ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ .
وفي السنة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يرقى المريض بهذا
الدعاء « أذهب الباس رب الناس ، واشف وأنت الشافي لا شفاء
إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » .

٢٤ - صفية بنت حيى بن أخطب

صفية بنت حيى بن أخطب بن سعية ^(١) بن ثعلبة بن عبيد
بن كعب ابن الخروج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن
ناخوم - وقيل : ينحوم وقيل : تخوم ^(٢) . والأول قاله اليهود ،
وهم أعلم بلسانهم ، وهم من بنى اسرائيل من سبط لازوى
ابن يعقوب ، ثم من ولد هارون بن عمران ، أخى موسى صلى
الله عليهم . وأم صفية برة بنت سموأل : وكانت زوج سلام بن
مشكم اليهودى ، ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق ، وهما
شاعران ، فقتل عنها كنانة يوم خيبر .

روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر وجمع
السبى ، أتاه دحية بن خليفة فقال : أعطنى جارية من السبى .
قال : اذهب فخذ جارية . فذهب فأخذ صفية . قيل : يا رسول

(١) فى بعض النسخ (سعنة) والمثبت عن طبقات ابن سعد : ٨٥٨-٨٥٩ ، والمعارف لابن
قتيبة : ١٣٨ .

(٢) كذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها (نحوم) بالحاء . وفى طبقات ابن سعد
والمعارف (ينحوم) .

الله ، أنها سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح إلا لك . فقال له رسول الله ﷺ : خذ جارية من السبي غيرها ، وأخذها رسول الله ﷺ واصطفاها ، وحجبها وأعتقها وتزوجها ، وقسم لها . وكانت عاقلة من عقلاء النساء .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس عن ابن اسحاق قال : حدثني والدي اسحاق بن يسار قال : لما افتتح رسول الله ﷺ القموص - حصن ابن أبي الحقيق - أتى بصفية بنت حيى ، ومعها ابنة عم لها ، جاء بهما بلال ، فمر بهما على قتلى من يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صكت وجهها وصاحت ، وحثت التراب على رأسها فقال رسول الله ﷺ : أغربوا ^(١) هذه الشيطانة عني ، وأمر رسول الله ﷺ بصفية فحيزت خلفه ، وغطى عليها ثوبه . فعرف الناس أنه قد اصطفاها لنفسه ، فقال رسول الله ﷺ لبلال حين رأى من اليهودية ما رأى : يا بلال انزعت منك الرحمة حتى تمر بامراتين على قتلاهما ؟! وقد كانت صفية قبل ذلك رأت أن قمرا وقع فى حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها ، فضرب وجهها ضربة أثرت فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكونى عند ملك العرب ! فلم يزل الأثر فى وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فأخبرته الخبر ^(٢) .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن أبى عيسى ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ أعتق صفية ، وجعل عتقها صداقها ^(٣) .

(١) كذا فى بعض النسخ بالعين والراء المهملة وفى سيرة ابن هشام : (أغربوا) بالزاي والعين المهملة . وفى اللسان : (والغرب) : الذهاب والتقصى عن الناس ، وقد غرِب عنا يغرب غرباً - بالتضعيف - وأغرب وغرويه وأغربه : نحاه . .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ - ٣٣٦ .

(٣) تحفة الأجوذى ، أبواب النكاح ، باب (ما جاء فى الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها) الحديث : ١١٢٣ ج ٤ - ٢٧٥ .

وحدثتنا صفية بنت حيى قالت : دخل على رسول الله ﷺ وقد بلغنى عن حفصة وعائشة كلام ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : ألا قلت : وكيف تكونان خيراً منى ، وزوجى محمد ، وأبى هارون ، وعمى موسى ؟! وكان بلغها أنهما قالتا : نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها ، نحن أزواج رسول الله ﷺ وبنات عمه (١) .

عن صفية بنت حيى : أن النبى ﷺ حج بسائه ، فلما كان ببعض الطريق (٢) برك بصفية جملها ، فبكت وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك ، فجعل يمسح دموعها بيده ، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها ، فنزل رسول الله ﷺ بالناس ، فلما كان عند الزواج قال لزينب بنت جحش : يا زينب أفقرى (٣) أختك جملاً - وكانت من أكثرهن ظهراً قالت : أنا أفقر يهوديتك؟ فغضب النبى ﷺ حين سمع ذلك منها ، فلم يكلمها حتى قدم مكة ، وأيام منى فى سفره حتى رجع إلى المدينة ، ومحرم وصفر ، فلم يأتها ولم يقسم لها ، ويئست منه ، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها ، فلما رأت ظله قالت : هذا ظل رجل ، وما يدخل على رسول الله ﷺ فدخل النبى ﷺ ، فلما رآته قالت : يا رسول الله ، ما أصنع ؟ قالت (٤) : وكانت لها جارية تخبؤها من النبى ﷺ - فقالت : فلانة لك . قال : فمشى النبى ﷺ إلى سرير صفية . وكان قد رفع ، فوضعه بيده (٥) ، ورضى عن أهله (٦) .

(١) تحفة الأحوذى : أبواب المناقب ، باب : فى فضل أزواج النبى ﷺ . الحديث ٣٩٨٣ : ١٠ - ٣٩٩ - ٣٩٢ .

(٢) اختصر ابن الأثير لفظ هذا الحديث .

(٣) فى بعض النسخ (أفقرى) والصواب ما أثبتناه . وأقره بغيره : أعاره إياه .

(٤) فى بعض النسخ : (قال) والمثبت عن المسند .

(٥) لفظ المسند : (فوضعه بيده ثم أصاب أهله ، ورضى عنهم) .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ .

وروى عنها على بن الحسين قالت : جئت إلى النبي ﷺ
أتحدث عنده ، وكان معتكفا في المسجد ، فقام معي يبلغني
بيتي ، فلقيه رجلان من الأنصار قالت : فلما رأيا رسول الله
ﷺ رجعا ، فقال : تعاليا فإنها صفية . فقالا : نعوذ بالله !
يارسول الله . فقال : إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى
الدم (١) .

وتوفيت سنة ست وثلاثين . وقيل سنة خمسين .

(أخرجها الثلاثة)

٢٥ - صفية بنت عبد المطلب

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية
الهاشمية عمّة رسول الله ﷺ وهى أم الزبير بن العوام ، وأمها
هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهى شقيقة حمزة
والمقوم وحجل بنى عبد المطلب (٢) .

لم يختلف فى اسلامها من عمات النبي ﷺ ، واختلف فى
عاتكة وأروى ، والصحيح أنه لم يسلم غيرها ، كانت فى
الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبدشمس ،
أخو أبى سفيان بن حرب فمات عنها ، فتزوجها العوام بن
خويلد ، فولدت له الزبير (٣) : وعبد الكعبة ، وعاشت كثيرا ،
وتوفيت سنة عشرين فى خلافة عمر بن الخطاب ، ولها ثلاث
وسبعون سنة . ودفنت بالبقيع . وقيل : أن العوام تزوجها

(١) مسند الإمام أحمد : ٦ - ٣٣٧ .

(٢) كتاب نسب قريش : ١٧ .

(٣) فى الاستيعاب ٤ - ١٨٢٣ : « الزبير ، والسائب ، وعبد الكعبة » . وانظر كتاب

نسب قريش : ٢٠ .

أولا ، وليس بشئ . قاله أبو عمر ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجدا شديدا ، وصبرت صبورا عظيما .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس ، عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري وغيره من علمائنا ، عن يوم أحد وقتل حمزة ، قال : فأقبلت صفية بنت عبدالمطلب لتتنظر إلى حمزة بأحد . وكان أخاها لأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير : ألقها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقبها الزبير وقال : أى أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمر أن ترجعى ، قالت : ولم ، فقد بلغنى أنه مثل بأخى ، وذاك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأصبرن ولاحتسبن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إليه فأخبره قول صفية قال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه واسترجعت^(١) ، واستغفرت له ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن^(٢) .

قال وحدثنا ابن إسحاق قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى قاع - حسن حسان بن ثابت ، يعنى فى وقعة الخندق - قالت : وكان حسان معنا فى الحصن مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله ﷺ ، قالت صفية : فمر بنا رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها^(٣) وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت ، قالت : فقلت : يا حسان ، أن هذا اليهودى يطوف بالحصن كما ترى ، ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، فأنزل إليه فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت

(١) أى قالت (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ - ١٧ .

(٣) فى بعض النسخ (بيننا) والمثبت عن سيرة ابن هشام .

ما انا بصاحب هذا ! قالت صفية : فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجرت^(١) وأخذت عمودا ونزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلتها ، ثم رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان ، انزل فأسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . فقال : ما لى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب^(٢) .

قال يونس : وحدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن صفية بنت عبد المطلب ، مثله ونحوه ، وزاد فيه : وهى أول امرأة قتلت رجلا من المشركين . (أخرجها الثلاثة)

٢٦ - عاتكة بنت زيد

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية . وهى ابنة عم عمر بن الخطاب ، يجتمعان فى نفيل .

كانت من المهاجرات إلى المدينة ، وكانت امرأة عبد الله بن أبى بكر الصديق ، وكانت حسناء جميلة ، فأحبها حبا شديدا حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازية وغيرها ، فأمره أبوه بطلاقها ، فقال^(٣) :

يقولون : طلقها وخيم مكانها مقيما ، تمنى النفس أحلام نائم وإن فراقى أهل بيت^(٤) جمعتهم على كبر^(٥) منى لاحدى العظام أرانى وأهلى كالعجول^(٦) تروحت إلى بوها قبل العشار الروائم

(١) أى : شددت وسطى .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ - ٢٢٨ .

(٣) الأبيات فى كتاب نسب قريش : ٢٧٧ ، والاستيعاب : ٤ - ١٨٧٧ ، والاصابة : ٤ -

٣٤٦ .

(٤) فى الأصول : جميعهم . والمثبت عن كتاب نسب قريش والاصابة ، وبعض نسخ الاستيعاب .

(٥) فى بعض النسخ : (على كره) . والمثبت عن كتاب نسب قريش .

(٦) فى الأصل : (تزوجت) . والمثبت عن نسخة مصورة . والعجول من النساء والابل التى فقدت والدها لعجلتها فى جبينها وذاهبها جزعا .

فعزم عليه أبوه حتى طلقها ، فتبعتها نفسه ، فسمعه أبو بكر يوما وهو يقول :

عائتك لأنسأك ماذر شارق^(١) وماناح قمرى^(٢) الحمام المطوق
عائتك ، قلبى كل يوم وليلة اليك بما تخفى النفوس معلق
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلاً ولا مثلاً فى غير جرم تطلق
لها خلق جزل ، ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحياء ومصدق
فرق له أبوه وأمره فارتجعها ، ثم شهد عبد الله الطائف مع
رسول الله ﷺ ، فرمى بسهم فمات منه بالمدينة ، فقالت عائكة
ترثيه :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبى بكر، وما كان قصراً^(٣)
فأليت لا تنفك عيني حزينة عليك ، ولا ينفك جلدى أغبراً
فله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى فى الهياج وأصبراً
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرأ
فتزوجها زيد بن الخطاب . وقيل : لم يتزوجها ، وقتل عنها
يوم اليمامة شهيدا ، فتزوجها عمر بن الخطاب سنة اثنتى
عشرة ، أو لم عليها ، فدعا جمعا فيهم على بن أبى طالب ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنى أكلم عائكة . قال : افعل فأخذ
بجانبى الباب وقال : يا عدية نفسها . أين قولك :

فأليت لا تنفك عيني حزينة عليك ، ولا ينفك جلدى أغبراً
فبككت ، فقال عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كل
النساء يعلنن هذا فقال : قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ،
لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا
تفعلون ﴾ فقتل عنها عمر ، فقالت ترثيه :

(١) نزلت الشمس : طلعت .

(٢) القمرى - بضم القاف - : طائر يشبه الحمام .

(٣) الأبيات فى طبقات ابن سعد : ٨ - ١٩٤ ، وكتاب نسب قريش : ٢٧٧ .

عين ، جودى بعبرة ونحيب لا تملى على الامام النجيب
 قل لاهل الضراء والبؤس : موتوا قد سقته المنون كأس شعوب^(١)
 ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فقتل عنها . فقالت ترثيه :
 غدر ابن جرmoz بفارس بهمة^(٢) يوم اللقاء وكان غير معرد^(٣)
 يا عمرو ، لو نبهته لوجدته لا طائشا رعى الجنان ولا اليد
 كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا ابن فقع القرد^(٤)
 ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ممن مضى ، ممن يروح ويغتدى
 والله ربك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد
 ثم خطبها على بن أبى طالب ، فقالت : يا أمير المؤمنين ،
 انت بقية الناس وسيد المرسلين ، وانى انفس بك عن الموت ،
 فلم يتزوجها ، وكانت تحضر صلاة الجماعة فى المسجد ،
 فلما خطبها عمر شرطت عليه أنه لا يمنعها عن المسجد ولا
 يضربها ، فأجابها على كره منه ، فلما خطبها الزبير ذكرت له
 ذلك ، فأجابها إليه أيضا . فلما أرادت الخروج إلى المسجد
 للعشاء الآخرة شق ذلك عليه ولم يمنعها ، فلما عيل صبره
 خرج ليلة إلى العشاء وسبقها ، وقعد لها على الطريق بحيث
 لا تراه ، فلما مرت ضرب بيده على عجزها ، فنفرت من ذلك
 ولم تخرج بعد.

(أخرجها الثلاثة)

(١) الشعوب: المنيّة .

(٢) البهمة : واحدة البهم - بضم ففتح - وهى : معضلات الأمور .

(٣) عرد الرجل تعريداً : فر .

(٤) الفقع : ضرب من اردأ الكماة - وهى نبات يخرج دون غرس - والقرد : ارض مرتفعة الى جنب وهذه . وقال ابو حنيفة : الفقع يطلع من الارض فيظهر ابيض ، وهو ردى ، والجيد ما حفر عنه واستخرج . ويشبه به الرجل الذليل ، لان الدواب تنجله بارجلها .

٢٧ - عاتكة بنت عبد المطلب

عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ . اختلف في اسلامها ، فقال ابن اسحاق وجماعة من العلماء لم يسلم من عمات النبي ﷺ غير صفية . وكانت عاتكة عند أبي أمية بن المغيرة المخزومي أبي أم سلمة ، وهي أم ابنة عبد الله بن أبي أمية ، وأم زهير وقريبة^(١) . روت عنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وغيرها .

عن عروة بن الزبير قال : رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم - قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفاري على قريش مكة بثلاث ليال - رؤيا ، فأصبحت عاتكة فبعثت إلى أخيها العباس فقالت : يا أخى ، لقد رأيت الليلة رؤيا : سيدخلن على قومك منها شر وبلاء ! فقال : وما هي ؟ فقالت : رأيت فيما يرى النائم رجلا اقبل على بعير له فوقف بالأبطح ، فقال : « انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث » . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم أرى بعيره دخل به المسجد ، واجتمع الناس إليه ، ثم مثل^(٢) به بعيرة ، فإذا هو على رأس الكعبة فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » ثم أرى بعيره مثل به على رأس أبي قبيس فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » . ثم اخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت فى أسفله ارفاضت^(٣) فما بقيت دار من دور قومك ، ولا بيت إلا دخل فيها بعضها . فقال العباس : اكنمها . قالت : وأنت فاكنمها .

(٢) أى : قام به .

(١) كتاب نسب قريش : ١٨ .

(٣) أى : تفتت .

فخرج العباس من عندها فلقى الوليد بن عتبة - وكان له صديقا - فذكرها له واستكتمه اياها ، فذكرها الوليد لأبيه ، فتحدث بها ، ففشا الحديث فقال العباس : والله انى لغاد إلى الكعبة لأطوف بها ، فاذا أبو جهل فى نفر يتحدثون عن رؤيا عاتكة ، فقال أبو جهل : يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ فقلت : وما ذاك ؟ قال : رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ، أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم ؟ سنترى بكم الثلاث التى ذكرت عاتكة ، فإن كان حقا فسيكون ، وإلا كتبنا عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت فى العرب ! فأنكرت وقلت : ما رأت شيئا . فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتني فقلن : صبرتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء ، وانت تسمع ، فلم يكن عندك غيرة ؟ فقلت : قد - والله - صدقتن . ولأتعرضن له ، فان عاد لأكفينكه . فغدوت فى اليوم الثالث اتعرض له ليقول شيئا أشاتم ، فوالله انى لمقبل نحوه إذ ولى نحو باب المسجد أشتد^(١) . فقلت فى نفسى : اللهم العنة ، اكل هذا فرقا ان أشاتم ! وإذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو واقف على بغيره بالابطح ، حتى حول رحله ، وشق قميصه وجذع^(٢) بغيره ، يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة^(٣) ، أموالكم أموالكم مع أبى سفيان ، قد عرض لها محمد وأصحابه ، الغوث الغوث فشغله ذلك عنى ، وشغلنى عنه ، فلم يكن إلا الجهاز ، حتى خرجنا إلى بدر ، فأصاب

(١) أى : يسرع .

(٢) أى قطع انفه .

(٣) اللطيمة : الإبل التى تحمل البز والطيب .

قريشا ما أصابها ببدر وصدق الله سبحانه وتعالى رؤيا عاتكة (١).

(أخرجها الثلاثة)

٢٨ - فاطمة بنت أسد

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، أم علي بن أبي طالب . وأم اخواته طالب وعقيل وجعفر . قيل : انها توفيت قبل الهجرة وليس بشئ ، والصحيح انها هاجرت إلى المدينة ، وتوفيت بها .

قال الشعبي : أم علي فاطمة بنت أسد ، اسلمت وهاجرت إلى المدينة ، وتوفيت بها (٢) .

وروى الأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن أبي البحتري ، عن علي قال : قلت لأمي فاطمة بنت أسد : أكفى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهب في الحاجة ، وتكفيك الداخل : الطحن والعجن .

وهذا يدل على هجرتها، لأن عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة . قال الزهري : هي أول هاشمية ولدت لها شمي ، وهي أيضاً أول هاشمية ولدت خليفة ، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولدت الحسن ، ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين ، لا نعلم غيرهن . ثم ان هؤلاء الثلاثة لم تصف فهم الخلافة ، فأما علي فإنه كان من اضطراب الأمور عليه إلى أن قتل ، ما هو مشهور ، وأما الحسن والأمين فخلعا .

عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ، عن أبيه : أن رسول

(١) سيرة ابن هشام : ١ - ٦٠٧ - ٦٠٩ . وانظر طبقات ابن سعد : ٨ - ٢٩ - ٣٠ .

(٢) الاستيعاب : ٤ - ١٨٩١ .

الله ﷺ كفن فاطمة بنت أسد فى قميصه ، واضطجع فى قبرها وجزأها خيرا .

وروى عن ابن عباس نحو هذا ، وزاد ، « فقالوا : ما رأيـناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ! قال : أنه لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منها ، إنما البستها قميصى لتكسى من حل الجنة ، واضطجعت فى قبرها ليهون عليها عذاب القبر .
قال الزبير : انقرض ولد اسد بن هاشم إلا من ابنته فاطمة بنت أسد (١) .

(أخرجها الثلاثة)

٢٩ - فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سيدة نساء العالمين ، ماعدا مريم بنت عمران صلى الله عليهما . أمها خديجة بنت خويلد . وكانت هى وأم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ .

وقد اختلف : فى أيتهن أصغر سنا ؟ وقيل : أن رقية أصغرهن وفيه عندى نظر ، لأن النبى ﷺ زوج رقية من ابن أبى لهب ، فطلقها قبل الدخول بها ، أمره أبواه بذلك ، ثم تزوجها عثمان رضى الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة ، فما كان ليزوج الصغرى ويترك الكبرى . وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ، وكانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وزوجها من على بعد أحد . وقيل : تزوجها على بعد أن ابنتى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف ، وابنتى بها بعد تزويجه أيها بسبعة أشهر ونصف ، وكان سنها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر فى قول . وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ١٦ .

منها ، فإن الذكور من أولاده ماتوا صغارا ، وأما البنات فإن رقية رضى الله عنها ولدت عبد الله بن عثمان فتوفى صغيرا ، وأما أم كلثوم فلم تلد^(١) . وأما زينب رضى الله عنها فولدت عليا ومات صبيا ، وولدت امامه بنت ابى العاص فتزوجها على ، ثم بعده المغيرة بن نوفل وقال الزبير : انقرض عقب زينب^(٢) .

عن ابى اسحاق ، عن الحارث ، عن على قال : خطب أبو بكر وعمر - يعنى فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فأبى رسول الله ﷺ عليهما ، فقال عمر ! فوالله لقد انكحك أكثرهم علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما .

عن على بن أبى طالب قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت لى مولاة لى . هل علمت أن فاطمة خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت : لا . قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك . فقلت : وعندى شئ أتزوج به ؟ فقلت : انك ان جئت رسول الله ﷺ زوجك . فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ - وكانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة - فلما قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما أستطيع أن اتكلم ، فقال : ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ قلت : نعم . قال : هل عندك من شئ تستحلها به ؟ فقلت : لا ، والله يا رسول الله فقال : ما فعلت بالدرع التى سلحتكها ؟ فقلت : عندى والذى نفس على

(١) فى الأصول : (لم تلد) فزادنا الفاء ليستقيم السياق .

(٢) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بيده انها لحطمية^(١)، ثمنها أربعمائة درهم . قال : قد زوجتك ، فابعث بها ، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ^(٢) وعن ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ليلة البناء - يعنى بفاطمة - يا على : لاتحدثن شيئا حتى تلقانى . فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ، ثم أفرغه على على وقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما ، وبارك لهما فى نسلهما .

قال ابن اسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة ، كان لا يتكح بناته على ضرة . عن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يريد على بن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانها بضعة منى ، پريينى ما رابها ، ويؤذينى ما آذاها^(٣) .

عن عطاء بن يسار ، عن أم سلمة قالت : فى بيتى نزلت : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهلى . قالت : فقلت : يا رسول الله أفما أنا من أهل البيت ؟ قال : بلى ، إن شاء الله عز وجل .

(١) الحطمية بضم الحاء وفتح الطاء - التى تحطم السيوف . وقيل : هى العريضة الثقيلة قيل : هى منسوبة إلى بطن من عبد القيس ، يقال لهم : حطمة بن مصارب ، كانوا يعملون والدروع . يقول ابن الأثير فى النهاية : وهذا أشبه الأقوال .

(٢) انظر طبقات ابن سعد : ٨ - ١٢ - ١٣ .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٦٥٩ ، ١٠ - ٣٦٩ - ٣٧٠ وقال الترمذى ، هذا حديث صحيح .

قال أبو صالح : قال الحاكم في المستدرک ، عن الأصم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (١) .

عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ كان يمر ببیت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل بیت محمد ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهرکم تطهيرا (٢) .

عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة تمشى ، كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فقال : مرحبا يا بنتى . ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر إليها حديثا فبكت ، ثم أسر إليها حديثا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن . فسألته عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ فلما قبض سألته ، فأخبرتني أنه سر إلى فقال : أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة وأنه عارضنى العام مرتين ، وما أراه إلا وقد حضر أجلي ، وإنك أول أهلى لحوقا بى ، ونعم السلف أنا لك ، فبكيت ، فقال : ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين .

قال أبو صالح : رواه البخارى فى الصحيح (٣) ، عن أبى نعيم . وهذا من غريب الصحيح ، فإن زكريا روى عن الشعبى أحاديث فى الصحيحين ، وهذا يرويه عن فراس ، عن الشعبى .

(١) المستدرک : مناقب أهل البيت : ٣ - ١٤٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذى من حديث حماد ، انظر تحفة الأجوذى ، تفسير سورة الأحزاب ، الحديث ٣٢٥٩ ، ٩ - ٦٧ - ٦٨ . وتفسير ابن كثير ، عند الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب : ٦ - ٤٠٧ .

(٣) البخارى ، كتاب المناقب : ٤ - ٢٤٧ - ٢٤٨ .

عن جميع بن عمير التيمي قال : دخلت مع عمي على عائشة، فسألت : أى الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت فاطمة . قيل : من الرجل ؟ قالت : زوجها ، إن كان - ما علمت - صواما قواما (١) .

عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عن علي بن أبي طالب يقول : سألت رسول الله ﷺ فقلت : أينما أحب إليك أنا أو فاطمة ؟ قال : فاطمة أحب إلى منك ، وأنت أعز علي منها . عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال لفاطمة : « أن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . »
عن علي : أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة .

عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ فسارها بشئ فبكّت ثم سارها بشئ فضحكت ، فسألتها عنه فقالت : أخبرني أنه مقبوض في هذه السنة فبكيت ، فقال : ما يسرك أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ، إلا فلانة ، فضحكت .
عن علي قال : دخل على رسول الله ﷺ وأنا نائم (٢) ، فاستسقى الحسن أو الحسين ، قال : فقام النبي ﷺ إلى شاة لنا بكى (٣) فطلبها ، قدرت ، فجاء الحسن فنحاه النبي ﷺ فقالت فاطمة : يا رسول الله ، كأنه أحبهما إليك ؟ قال : لا ، ولكنه استسقى قبله . ثم قال : أنا وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة (٤) .

(١) تحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها » الحديث ٣٩٦٥ : ١٠ - ٣٧٥ .

(٢) في المسند : « وأنا قائم على المنامة » .

(٣) أى : قليلة اللبن . (٤) مسند الإمام أحمد : ١ - ١٠١ .

عن زيد بن أرقم : أن رسول الله ﷺ قال : لعلى وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربتم ، وسلم لمن سالم^(١) .
عن على قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب : يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر .

عن فاطمة بنت الحسين بن على ، عن جدتها فاطمة الكبرى .
هى بنت رسول الله ﷺ - قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال : رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال : ربى اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك^(٢) .
هذا الحديث ليس اسناده بمتصل ، فان فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدتها فاطمة الكبرى ، والله أعلم^(٣) .

وتوفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر . هذا أصح ما قيل وقيل : بثلاثة أشهر . وقيل : عاشت بعده سبعين يوما . وما رؤيت ضاحكة بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى لحقت بالله عز وجل ، ووجدت^(٢) عليه وجدا عظيما .
قال أنس : قالت لى فاطمة : يا أنس ، كيف طابت قلوبكم ؟! تحثون التراب على رسول الله ﷺ ؟

وكانت أول أهله حلوقا به ، تصديقا لقوله ﷺ . ولما حضرها الموت قالت لأسماء بنت عميس : يا أسماء ، انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثوب فيصفها .

(١) تحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فاطمة رضى الله عنها »
الحديث ٣٩٦٢ : ١٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ .
(٢) مسند الإمام احمد : ٦ - ٢٨٢ .
(٣) اى : حزنت .

قالت أسماء يا ابنة رسول الله ﷺ ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوبا . فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ! فإذا أنامت فاغسليني أنت وعلى ، ولا تدخل على أحدا . فلما توفيت جاءت عائشة ، فمئنتها أسماء فشكتها عائشة إلى أبي بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ ! فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ ، وقد صنعت لها هودجا ؟ قالت هي أمرتني ألا يدخل عليها أحد ، وأمرتني أن أصنع لها ذلك . قال : فاصنعي ما أمرك . وغسلها على وأسماء^(١) .

وهي أول من غطى نعشها في الإسلام ، ثم بعدها زينب بنت جحش . وصلى عليها على بن أبي طالب . وقيل : صلى عليها العباس . وأوصت أن تدفن ليلا ففعل ذلك بها . ونزل في قبرها على والعباس ، والفضل بن العباس .

قيل : توفيت لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة ، والله أعلم . وكان عمرها تسعا وعشرين سنة .

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن^(٢) بن علي : كان عمرها ثلاثين سنة . وقال الكلبي : كان عمرها خمسا وثلاثين سنة .

وقد روى أنها اغتسلت لما حضرها الموت وتكفنت ، وأمرت عليا أن لا يكشفها إذا توفيت ، وأن يدرجها^(٣) في ثيابها كما هي ، ويدفنها ليلا . والصحيح أن عليا وأسماء غسلها والله أعلم . (أخرجها الثلاثة)

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : ٤ - ١٨٩٧ - ١٨٩٨ .

(٢) في الأصل (الحسن بن الحسين) . والمثبت عن الاستيعاب : ٤ - ١٨٩٩ .

(٣) أي : يلقيها .

٣٠ - فضة النوبية جارية فاطمة الزهراء

فضة النوبية ، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .
عن ابن عباس قال في قوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾
ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما وأسيرا ﴿ . قال : مرض الحسن والحسين ،
فعادهما جد هما رسول الله ﷺ وعادهما عامة العرب ، فقالوا :
يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولدك نذرا . فقال على إن برأهما
بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيام شكرا . وقالت فاطمة كذلك
وقالت جارية يقال لها فضة نوبية : إن برأ سيدي صمت لله
عز وجل شكرا ، فألبس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد
قليل ولا كثير . فانطلق على إلى شمعون الخيرى فاستقرض
منه ثلاثة أسع من شعير ، فجاء بها فوضعها ، فقامت فاطمة
إلى صاع فطحنته واختبزته ، وصلى على مع رسول الله ﷺ
ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم مسكين
فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين
من أولاد المسلمين ، أطعموني أطعمكم الله عز وجل على موائد
الجنة ، فسمعه على ، فأمرهم فأعطوه الطعام . ومكثوا يومهم
وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء . فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة
إلى صاع وخبزته ، وصلى على مع النبي ﷺ ووضع الطعام
بين يديه ، إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب ، وقال : السلام عليكم
أهل بيت محمد ، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين ، استشهد
والدى أطعموني . فأعطوه الطعام ، فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا
الماء . فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الباقي

فطحنته واختبرته ، فصلى على مع النبي ﷺ ، ووضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت النبوة ، تأسرونا وتشدوننا ولا تطعمونا ، أطعموني فأنى أسير . فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء . فأتاهم رسول الله ﷺ فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ إلى قوله : ﴿ لا نريد منك جزاء ولا شكورا ﴾ .

٣١ - قتيلة بنت النضر

قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبدمناف بن عبد الدار بن قصي القرشية العبدرية . كانت تحت عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر ابن عبد شمس ، فولدت له عليا ، والوليد ، ومحمدا ، وأم الحكم .

قال الواقدي : هي التي قالت الأبيات الآتية في رسول الله ﷺ لما قتل أباه النضر بن الحارث يوم بدر ، وهي (١) - :

يا راكبا أن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (٢)
أبلغ بها (٣) ميتا بأن (٤) تحية ما إن تزال بها النجائب تعتق (٥)
منى إليه وعبرة مسفوحة جادت لما تحتها (٦) وأخرى تخفق

(١) الأبيات في سيرة ابن هشام : ٢ - ٤٧ ، وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيري ٤ - ٢٥٥ ، والاستيعاب : ٤ - ١٩٠٤ ، والبيان والتبيين للجاحظ : ٤ - ٤٣ - ٤٤ .
(٢) الأثيل - مصغراً - : عين ماء بين بدر ووادي الصفراء . ومظنة : موضع إيقاع الظن .

(٣) في الكتب : (به) . المثبت عن السيرة والبيان ، والتأنيث لأنها عين ماء .

(٤) في الكتب : (فان) . والمثبت عن سيرة ابن هشام إلـ .

(٥) تعتق : تسرع . وفي المراجع المتقدمة (تخفق) وهو بمعناه .

(٦) في المطبوعة : (لما تحتها) . والمنايح : المستسقى . والكلام استعارة . وفي

كتاب نسب قريش (لمانحها) وهو بمعناه

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد إلى المنيّة متعباً (١) رسف المقيد، وهو عان موثق (٢)
أحمد ، أولست ضنء (٣) نجية من قومها، والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق (٤)
فالنضر أقرب من تركت قرابة واحقهم إن كان عتق يعتق
فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى اخضلت الدموع
لحيته ، وقال : لو بلغني شعرها قبل أن أقتله ما قتلته . ذكر
هذا الخبر عبد الله بن أدريس . وذكر الزبير قال : فرق رسول
الله ﷺ حتى دمعت عيناه وقال لأبي بكر : يا أبا بكر ،
لو سمعت شعرها لم أقتل أباهما .

(أخرجها أبو عمر)
وروى بعضهم « عتق يعتق » بضم الياء وكسر التاء ،
ومعناه : إن كان شرف ونجاة وكرم نفس وأصل يعتق
صاحبه فهو أحق به .

٣٢ - معاذة جارية عبد الله بن أبي سلول

روى الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن محمد بن ثابت -
أخي بني الحارث بن الخزرجي في قوله عز وجل : ﴿ ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ قال : نزلت في معاذة جارية عبد الله
ابن أبي سلول ، وذلك أنه كان عنده أسير فكان عبد الله

(١) في المطبوعة والمصورة : « معتباً » بتقديم العين . ولا يستقيم المعنى عليه .
والمثبت عن المرجع المتقدمة أ . ه نقلنا عن أسد الغابة في معرفة الصحابة .

(٢) الرسف : المشى الثقيل . والعاني : الأسير .

(٣) في بعض النسخ : (صنو) والمثبت عن السيرة ، والبيان ، وكتاب نسب قريش
والضنء - بالضاد المعجمة مفتوحة أو مكسورة : الولد .

(٤) المحنق : الشديد الغيظ ، والتعليق منقولة من كتاب « أسد الغابة في معرفة
الصحابة لعز الدين بن الأثير » - مطابع دار الشعب بالقاهرة .

يضربها لتمكنه من نفسها ، رجاء أن تحبل منه ، فيأخذ في ذلك فداء . وهو العرض الذي قال الله عز وجل : ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ وكانت الجارية تأبى عليه وهي مسلمة - قال الزهري : كانت مسلمة فاضلة ، فأنزل الله هذه الآية . ثم إنها عتقت^(١) وبايعت النبي ﷺ بيعة النساء ، فتزوجها بعد ذلك سهل بن قرظة . أخو بني عمرو بن عوف ، فولدت عبد الله بن سهل وأم سعيد بنت سهل . ثم هلك عنها أو فارقها فتزوجها الحمير بن عدي القاريء ، أخو بني خطمة فولدت له توأما ، الحارث وعديا ابني الحمير ، ثم فارقها فتزوجها عامر بن عدي رجل من بني خطمة أيضاً ، فولدت أم حبيب بنت عامر .

قيل في نسبها : معاذة بنت عبد الله بن خير بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج . -

وقا ابن مأكولا : وأما الضرير - يضم الضاد المعجمة ، وفتح الراء - فمعاذة بنت عبد الله بن خير بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج . وذكر من أمرها ما تقدم . أخرجها أبو عمر ، وأبو موسى . إلا أن أبا عمر قال : «معاذة بنت عبد الله . وقيل : مسيكة . قال الزهري : معاذة . وقال الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر اسمها مسيكة . وقال : والصحيح قول ابن شهاب ان شاء الله تعالى .

وقد روى أبو صالح ، عن ابن عباس القصة ، وسمى الجارية ، مسيكة ، فوافق الأعمش ، والله أعلم .

قلت : قول ابن شهاب في نسبها ما ذكرناه إلى خدارة ، يدل على أن الأنصار قد كان يسبى بعضهم بعضاً في

(١) أي : خرجت من الرق .

الجاهلية، فإن بنى خدره وخدارة هم من ولد الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن أبي من بنى الجبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج، فكلهم خزرجيون، ومع ذلك فقد كانت معاذة من خدارة وهى أمه لعبد الله بن أبي، والله أعلم.

فى أعقاب ترجمة الصحابييات

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. لقد كان الصحابة والصحابييات نماذج مضيئة ومعالم للحق والهدى، وقد مدحهم القرآن بقوله الخالد :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة، ومثلهم فى الانجيل كزراع أخرج شطاها فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾

(الفتح : ٢٩)

خاتمة

فى ختام الحديث اتوجه إلى الفتاة المسلمة أدعوها إلى
الأمور الآتية :

١ - حافظى على الصلاة والوضوء والطهارة الحسية
والمعنوية ، لتكونى قريبة من الله ، قريبة من الجنة بعيدة من
النار .

٢ - التزمى بآداب الإسلام فى العبادات والمعاملات ، وثقى
أن ذلك يزيدك جمالاً ، ويرفع رصيدك عند الله وعند الناس .

٣ - احذرى الفتاة الماجنة المستهترّة ، واختارى رفيقتك
بعناية ، لأنّ الجليس الصالح كالمسك رائحته طيبة .
والجليس السوء مثل كير الحديد يتطاير منه الشرر .

٤ - حافظى على الفرائض ، مثل صيام رمضان ، وغض
البصر ، والاستقامة ، والبعد عن المحرّمات ، فالنبي ﷺ يقول
: « يا معشر الناس : اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة . »

اصدقوا إذا حدثتم ، واوفوا إذا عاهدتم ، وادوا الامانة إذا
أوتمنتم ، وغضّوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا
أيديكم .

٥ - اقتربى من والديك ، ومن اخوتك ، واستعدى لطاعة

زوجك بعد الزواج ، والتعاون معه على البر والتقوى ، وثقى أن
الحب عطاء وتضحية وكفاح وعمل وأمل ، وبذلك تساهمين فى
بناء بيت مسلم ، يعتز به الاسلام ، ويرضى عنه الله رب
العالمين ..

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

الفهرس

الصفحة

٥ مقدمة
٩ تمهيد
١٤ مع الإسلام
١٧ الباب الأول : الزواج ونظام الأسرة
٢٠ الزواج فى السنة
٢٢ اختيار الزوجة
٢٨ حقوق الزوجة
٢٨ ١ - المهر
٢٤ ٢ - النفقة
٣٦ عمل الزوجة
٣٩ حقوق الزوج
٣٩ ١ - الطاعة
٤٥ ٢ - القرار فى البيت
٤٨ ٣ - ولاية التأديب
٥١ الحقوق المشتركة بين الزوجين
٥٤ آداب تتعلق بالزواج
٥٤ ١ - الوليمة
٥٧ ٢ - الصبر والاحتمال
٥٩ ٣ - المداعبة والمزاح
٦٢ ٤ - مزج المداعبة بالحزم
٦٣ ٥ - الاعتدال فى الغيرة

الصفحة

٦٧ كلمة إلى الشباب
٧٢ النسل والذرية
٧٨ العناية بتربية البنات
٨١ الباب الثاني
٨١ صحابييات رسول الله ﷺ
٨٦ المرأة المسلمة عبر العصور الإسلامية
٨٨ ١ - أسماء بنت عميس
٨٩ ٢ - أسماء بنت يزيد الأشهلية
٩٠ ٣ - بريرة مولاة عائشة
٩١ ٤ - جميل بنت يسار
٩٢ ٥ - جويرية بنت الحارث
٩٤ ٦ - حبيبة بنت سهل الأنصارية
٩٥ ٧ - حليلة بنت أبى ذؤيب
٩٧ ٨ - حمنة بنت جحش
١٠٠ ٩ - خديجة
١٠٢ ١٠ - الخنساء بنت عمرو
١٠٤ ١١ - خولة بنت ثعلبة
١٠٥ ١٢ - الربيع بنت النضر
١٠٦ ١٣ - رقيقة بنت صيفى
١٠٩ ١٤ - رقية بنت رسول الله ﷺ
١١١ ١٥ - رملة بنت أبى سفيان
١١٣ ١٦ - زينب بنت جحش
١١٦ ١٧ - زينب بنت رسول الله ﷺ
١١٨ ١٨ - سفانة بنت حاتم
١١٩ ١٩ - سلمى خادِم رسول الله ﷺ
١٢٠ ٢٠ - سمية أم عمار

الصفحة

١٢١	٢١ - سودة بنت زمعة
١٢٢	٢٢ - سيرين أخت مارية القبطية
١٢٣	٢٣ - الشفاء بنت عبد الله
١٢٤	٢٤ - صفية بنت حيى بن أخطب
١٢٥	٢٥ - صفية بنت عبد المطلب
١٣٠	٢٦ - عاتكة بنت زيد
١٣٣	٢٧ - عاتكة بنت عبد المطلب
١٣٥	٢٨ - فاطمة بنت أسد
١٣٦	٢٩ - فاطمة بنت رسول الله ﷺ
١٤٣	٣٠ - فضة النوبية ، جارية فاطمة الزهراء
١٤٤	٣١ - قتيلة بنت النضر
١٤٥	٣٢ - معاذة جارية عبد الله بن أبى
١٤٨	خاتمة

رقم الإيداع ١٦٦٦٩

الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 08 - 0704 - 4



مصر للطيران
EGYPT AIR

أكثر من ٤٠٠ رحلة
إلى ٩٤ مدينة عالمياً



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ
فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ
صدق الله العظيم

الكيمائيات السويسرية للمباني

تحويل الأنابيب إلى المياه
في عالم البنيان

الحاصلة
على شهادة
الأيزو 9002



المصرية السويسرية لصناعة الكيمائيات

عضام وعاطف شرش

١٠٦ ش النيل ت / ٣٣٦٣١٧٠ - فاكس ٣٦٠٧٢١٢